

دِرَاسَات
اسْلَامِيَّة

٣

مُجَتَّعٌ بِلَا فُوقَ

دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ عَنْ مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْفَقْرِ وَالرَّقْ

عَبْدُ الْوَدُودِ شَلْبِي

الْإِذْقَافُ وَالشُّؤُونُ الْإِسْلَامِيَّةُ • الشَّارِقَةُ • دُولَةُ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدةِ

الطبعة الأولى

دراسات إسلامية

٣

مُجَمِّعٌ بِلَاْ فُوْلَاقٍ

دراسة موضوعية عن موقف الإسلام من الفقر والرُّزق

عبدالودود شلبي

الأوقاف والشئون الإسلامية، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ...

فَيَدْمَغُهُ ...

فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ...

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

مَقَدْمَة

يا له من دين لو كان له رجال ...
هذه الكلمة التي نطق بها رجل غير مسلم ، وفي
حالة من صفاء البصيرة ، وفي مرحلة من التاريخ
حرجة ، وفي وقت فقد فيه المسلمون حرارة العقيدة ...
هذه الكلمة تورقي ، وتهز كياني ، وتهمني
 أمام نفسي ... !

العالم كله يتآمر .. يتآمر على هذا الاسلام .
يتآمر على شعوبه . يتآمر على وجوده .
ونحن .. نحن المسلمين في غفلة .. ولا حول
لنا ولا قوة . قلوب شتى وإرادات عاجزة ، وبد في
النهايات مثلولة

في كل مكان حرب . حرب على ديننا ...
بالسلاح يحاربون .. بالفکر يحاربون. وفي ديارنا ..
في دار الاسلام... تتخذ هذه الحرب صوراً عديدة .
وأشكالاً مختلفة . غزو خطير مدبر . غزو سلاحه
الثقافة والفكر... أوکار تنتشر في كل ناحية . حركات
كثيرة مشبوهة ، كتب ونشرات مسمومة ، وأولادنا
وشبابنا هم الضحية ..

من المسئول عن هذا ... ؟
إنها مسئولية الحاكم ، ومسئوليّة العالم ، ومسئوليّة
المفكّر ، ومسئوليّة المعلم ، ومسئوليّة كلّ غيور
مسلم .
إنه جهاد الوقت للذين يحملون أمانة التوجيه
في كلّ موقع .

وقد كانت هذه الدراسة تلبية لحاجات الشباب
الذين أحبهم ، دراسة تقدم بعض الملامح لهذا
الدين الذي ختم الله به رسالة النبوة ، ونكشف
مواطن الزيف في ادعاءات العاقدين وأسبابهم

المتحورة . وتوضح للعازفين حقيقة الإسلام و موقفه من قضايا العدل والكرامة والحرية ...
إنها رسالة الشباب .. لأن الشباب هو الأمل والمستقبل .
والأمل لا يأتي من فراغ وتخزق ، وإنما يتجدد الأمل
ويحيا بالعقيدة التي بدونها تكون الحياة لفظاً بغير
معنى ، وكلمة بدون حقيقة .

عبد الوود شلي

الصِّرَاعُ مَعَ الْفَقْرِ

مهما يكن دين المرء وعقيدته : فإنه
يعرف صادقاً .. بأن الإسلام وحده هو
الدين الذي قدم أرقى وأعدل
نظام عرفه البشر ...
ماميون

المؤلف : موقف الإسلام من
القسم الأول : الصراع ضد الفقر.

من قديم الأزل ..

وصراع قائم بين الخير والشر فوق هذه الأرض .
صراع على السلطة . وصراع على السيطرة . وصراع
على المال والثروة . وصراع على المبادئ والعقيدة ..
حتى لا يكاد يمر يوم من تاريخ البشرية دون دم ...
ومعركة ...

صراع في كل شيء . وصراع على لا شيء ..
فإذا عجز الناس عن افعال سبب لهذا الصراع نكسوا
على رؤوسهم وتصوروا السماء أرضاً ، والأرض
سماء ، وانخلط عليهم الأمر فجعلوا الحق باطلأ ،
والباطل حقيقة .

ومنه إنسان هذا العصر أنه يفكر بعده وياكل بعقله !! أو كما يقول أينشتاين: إن سواده أقوى من ضميره ! وفي مثل هذا العالم تضيع الحقائق الثيرة وتحتل موازين العدل والحق فلا يميز بين القاتل والضحية ...

والإسلام على رأي أحد مفكري الغرب يعني حصاد هذه الأحقاد المزبورة ، فإذا كان غيره أخطأ فليكن وحده المسئول عن هذه الخطيبة .. إنها قصة العمل مع الذئب تتكرر مع خيالها على مسرح الحقد والضغينة ...

ما دخل الإسلام إذا كان ثوار فرنسا قد هتفوا بشنق نبلائهم بأمعاء آخر الكرادة ؟ ! وما ذنب الإسلام إذا كان رجال الكهنوت في روسيا معادين للحق والعدالة ؟ ! وتخلو عن شعوبهم المقهورة إرضاء للفياصرة ؟

لم يكن في تاريخ الإسلام كله هذا الانفصام بين العالم العامل . والحاكم العادل .. لقد وقف الإسلام من أول يوم يتنصل للمظلوم من الظالم .

ويتصف للمحکوم من الحاکم . ولم يكن في
تاریخ الاسلام کله سبب واحد يدعو للثورة على
تعالیمه أو النبل من عدالتھ وشرفه ، فهل كان للنظم
والماذهب الأخرى مثل موقفه ؟
لقرأ أولاً ، ثم نحكم بعد ذلك ...

اذا نظرنا في كتب العهد القديم . وهي التوراة
التي نزلت على موسى عليه السلام ؛ فإننا نجد كثيراً
من النصوص التي تؤكد بقاء الفقر في هذه الأرض
وتوصي في نفس الوقت بالبر ومد يد المساعدة الى
الفقراء والمحاجين .

«الرب يحيي ويميت

يبطىء الى الماوية ويصعد .

الرب يفقر ويغنى .

ينفع ويرفع .

يقيم المسكين من التراب ويرفع الفقير من المزبلة
للجلوس مع الشرفاء .
ولذلك أنا أوصيك قاتلاً : افتح بذلك لأخيك المسكين

والفقير في أرضك .. اقضوا للذليل وللبيت . انصفوا
البائس والمسكين . نجوا المسكين والبائس
وتقول التوراة في التنديد بالأغنياء الأشرار :
هـ ينقولون التخوم يغتصبون قطبيعاً ويرعنونه
يشتاقون حمار البشري ويرتهنون ثور الأرملة .
يصدون القراء عن الطريق هـ .

هذه هي بعض نصوص التوراة التي تنادي بمحنة
الفقير والمسكين وتطلب بأنخذ بيده عند الشدة والفاقة .
ولكن اليهود يفسرون هذه النصوص تفسيراً عنصرياً
كريها ، فهم يقولون إن الفقير الذي يجب مساعدته
إنما هو الفقير اليهودي ، والمسكين الذي يؤخذ بيده
إنما هو المسكين الإسرائيلي فقط . أما غير اليهود
من القراء والمساكين فلا مكان لهم في مجتمع يهودي
لا يعترف بوجود أحد غير اليهود : وقد سيطرت
هذه العنصرية البغيضة على المجتمع اليهودي حتى
صارت الحياة فيه مستحيلة على المسلم أو المسيحي
الذي تحده نفسه بالبقاء في ظل حكم اليهود ..
فإذا فعلت المسيحية تجاه هذا الجشع والحرص

اللذين سيطرا على اليهود ؟

لقد أرسل المسيح عليه السلام في بيته مادية جشعة هي بيته اليهود الذين تركوا شرائع الله التي أوصاهم بها أنبياؤهم . فقد بلغوا في عهد المسيح متنهى الحرص على جمع المال والافتتان في اكتنازه . وكان اغبائهم على أكبر جانب من القسوة وموت الصغير لا يألون جهداً في تحريف أحكام الشريعة

والولاة الرومان جعلوا من المجتمع طبقتين متمميزتين : طبقة الأغنياء والأشراف الذين استأثروا بالطبيات والأموال ورعد العيش ، وطبقة الفقراء الذين حرموا من الكرامة وأبسط حقوق الإنسانية .

لذلك كان طبيعياً أن تتجه رسالة المسيح قبل كل شيء إلى تطهير المجتمع اليهودي من تلك الرذائل ومحاربة هذه المادية البشعة ، وعلى ضوء هذا يعكنا أن نفهم ما أثر عن المسيح من مواعظ ووصايا تتعلق بالمال . (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله .)

« أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ليات

ملكتك ، لتكن مثلك ، كما في السمات كذلك
على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . .
« ان أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك .
واعط الفقراء . فيكون لك كنز في السماء وتعال
اتبعني »

وقد كانت حياة المسيح عليه السلام وحياة
حواريه نموذجاً للزهد والتلشف وازدراء المال والدنيا ، وقد
ذكر هذا كله في أسفار العهد الجديد التي تفيض
بهذه الحكم والمواعظ التي تدعى الناس إلى التخلّي
عن الحرص والطمع ، وتوصيهم بالبرورعاية المحرّمين
من الفقراء والمرضى ..

الا أن معالجة المسيح عليه السلام وتلاميذه لمشكلة
الفقر والظلم الاجتماعي اخذت شكلاً أخلاقياً تربوياً
مناسباً للبيئة التي عاش فيها المسيح ونادى برسالته
فيها ، وكان لها أثر كبير في اجلاء الوثنية عن جزء
كبير من العالم وتخلصه من قسوة المادية اليهودية .
كان شأن الإسلام كشأن الديانتين السابقتين
في العناية بالفقراء ومحاربة ظلمهم واهمهم ، لأن

شرع الله لا يمكن أن تهمل هذه الفتنة دون رعاية
ولا عناية .

غير أن الإسلام سلك للوصول إلى هذه الغاية
النبلة مسلكاً يختلف في تفاصيله وفي وسائله عما
سبق من الديانات وإن اتجه معها إلى وجهة واحدة .
وأهم ما امتازت به طريقة الإسلام في معالجة
مشكلة الفقر والغنى ميزتان :

أولاً : أنه لم ينظر إلى هذه المشكلة على أنها مشكلة
قائمة بذاتها بل منصلة بغيرها من شؤون الحياة
فلا بد لمعالجتها من معالجة صحيحة لكل شؤون
الحياة .

ثانياً : انه لم يقتصر على الموعظ والوصايا
الأخلاقية فذلك مما لا يؤثر في سواد الشعب غالباً
الا أن يكون معه قوانين واضحة تحدد الواجبات
وتحميها دولة ترحب المسلمين وتضرب على بد
الظالمين وتحمل الذين لا توفر فيهم الموعظ والوصايا
على تنفيذ تلك القوانين .

ومن هنا نجد التشريع الإسلامي متاسكاً يتصل

بعضه ببعض ويتوقف نجاح كل قانون من قوانينه على تفيدة القوانين الأخرى . كما يتوقف تفيدة قوانينه كلها على وجود الدولة التي تبنيها وتأخذ على عاتقها تنفيذها والشهر على تطبيقها .
لقد كان الاسلام حريصاً على عدالة التوزيع حرصه على ترقية الإنتاج ومصادر الثروة . ففي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من ولني لنا عملاً وليس له متزل فليتخد متزلاً أو ليس له زوجة فليتروج : أو ليس له خادم فليتخد خادماً . أو ليس له دابة فليتخد دابة » .

وتوفر هذه الاحتياجات للإنسان أساس لتحقيق الكرامة الإنسانية وهي التي تقررها وتقدسها نصوص القرآن « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » . وكتب الإمام ابن حزم يقول :

« ... وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقارائهم ويجبرهم السلطان على ذلك

ان لم تقم الزكوات بهم فيقام لهم :

- أ - بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه .
- ب - ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك .
- ج - وبمسكن يكتنفهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة .

لقد ألزم ابن حزم الدولة أن ترعى الحقوق الاجتماعية للأفراد . وابن حزم يحدد الحد الأدنى للمستوى الاجتماعي فليس قيام الأغنياء بالفقراء أن يدفعوا في أفواههم لقمة عفنة معفرة بالتراب . لا . انه الغذاء والكماء والسكن ، والغذاء هو القوت الذي لا بد منه ، ولعلماء التغذية وحدتهم أن يفسروا هذا النص على أساس ما يوجه العلم للمرء من سعر حراري وقيمة غذائية وتوفير البروتين والدهون والكريوبوديدرات والمعادن والفيتامينات ... واللباس للشتاء والصيف ، واللباس كلمة شاملة تشمل الملابس الداخلية والخارجية وملابس البيت والشارع .. والمسكن يجب أن يكون متنبناً قوياً لا تعبث به الريح ،

ولا تنفذ خلال ثغراته ذرات الرمل والحمى ولا
تفتحمه العيون .

إن القوانين التي جاء بها الإسلام لتحقيق المعيشة
الكريمة للفئات المحرومة والضعيفة تنقسم إلى قسمين :

أ - القوانين التي نصت على الفئات التي تستحق
التكافل .

ب - القوانين التي عينت الموارد المالية التي تعين
على تحقيق التكافل لتلك الفئات .

فالفئات التي تستحق التكافل هي فئات يتميز
أكثراً بها بالعجز والفاقة : وقد وضعت لها القوانين
التي تعين أحکامها وهي :

قانون الفقراء - قانون المرضى - قانون العمران -
قانون المعددين - قانون الشيخوخة والكهول - قانون
المشردين - قانون اللقطاء - قانون اليتامي - قانون الأسرى.

وهنالك فئات أخرى قد لا تتصف بالفقر ،
ولا بالعجز ولكنها تحتاج إلى المساعدات المالية
وغيرها ونذكر من قوانينها ما يأتي :

قانون المساعدة :

وينطبق هنا القانون على المدين إذا عجز عن سداد دينه ، والقطع في بلد غير بلده ويسمى « ابن السبيل » .

و**قانون الضيافة** ، و**قانون المشاركة** . فإن من حق المواطنين الذين لا يجدون ما يشترون به الشمار إبان قطفها لغلاء ثمنها أن يأكلوا منها بغير ثمن .

وأصل ذلك مأخوذ من قوله تعالى : « فكلوا من ثمره إذا أثروا حفظ يوم حصاده »

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يأتون بشمار تغذتهم فيضعونها على باب المسجد ليأكل منها من لا يجد مالاً يشتري به شيئاً .

و**قانون الماعون** ، والماعون كل ما ينتفع به من شئون البيت وغيره ويستيره الناس فيما بينهم كالفالس والقدر والدلو يقول الله تعالى « فويل للهاربين الذين هم عن صلاتهم ساهرون الذين هم يراءون وينعون الماعون » .

وقد قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية :

أي لا أحسنوا في عبادتهم لله ، ولا أحسنوا إلى خلقه
حتى ولا باعارة ما يتغنى به .

وقانون الاعلاف . وهو القانون الذي يوجب معاونة
من يريد الزواج ولا يجد مالاً يستعين به .

وقانون الاسعاف . وهو قانون يفرض على المسلم
إغاثة الإنسان الجائع والظمآن والمريض .

وهناك قانون الطوارئ . وهو القانون الذي يعطي
للدولة الحق في أن تأخذ من أموال الناس ما يساعدها
على درء الخطر وصد الغزو .

وقانون التعويض العائلي . وهو القانون الذي يعطي
الرجل المتروج أكثر مما يأخذ الرجل الأعزب ، ويعطي
صاحب العيال أكثر مما يعطي من لا ولد عنده .

وهناك قانون النفقات . وهو يشمل نفقات الأبوين
وأصوطهما والأبناء وفروعهم ، والأخوة وفروعهم
والأعمام وفروعهم والمخالات والأحوال وفروعهم ،
والزوجات والمطلقات والرقيق والحيوان .

والنفقة الواجبة في هذه الحالة هي نفقة الطعام

واللباس والسكن والتعليم والتزويع وال حاجات الاجتماعية المتعارف عليها . فالشخص الموسر عليه رعاية هؤلاء الأقارب اذا كانوا فقراء عاجزين لا يملكون شيئاً يستعينون به في شؤون حياتهم . وهناك قانون الوصبة . فقد أجاز الاسلام للإنسان أن يوصي بثلث ماله لجهات البر والخير . ويجوز أن يوصي بأكثر من هذا اذا وافق الورثة على ذلك . وهناك قانون الغائتم . فالغائتم التي تؤخذ في الحرب ينحصر جزء منها للتكافل الاجتماعي .

وهناك قانون الركاز . وهو ما يوجد في بطن الأرض من المعادن والقروض فقد جعل الاسلام فيه نصياً معيناً ينفق منه على التكافل الاجتماعي .

وهناك قانون النذور . يقول الله تعالى : « ولبوفوا نذورهم » فإذا نذر الإنسان نذراً وجب عليه الوفاء بهذا النذر وإنما يكون ذلك باتفاقه على الفقراء والمساكين واليتامى .

وهناك قانون الكفارات . فقد أوجب الاسلام على المسلم حين يرتكب بعض المخالفات الدينية أن

يطعم عدداً من المساكين والفقراء ويكسوهم . وهذا مورد كبير من موارد التكافل الاجتماعي في الإسلام لا ينقطع في يوم من الأيام .

وهناك قانون الأضحى . وهي الذبائح التي يذبحها المسلمون في أيام الأضحى . وقد شرع الإسلام للمضحي في هذا اليوم أن يتبرع بثلث هذه الأضاحية للقراء .

وهناك صدقة الفطر . وهي الزكاة التي يخرجها كل مسلم ومسلمة صغيراً وكبيراً في آخر يوم من أيام رمضان .

وهناك الخزانة العامة للدولة . بالنسبة لمواردها المتعددة من زكاة ، وخمس الغنائم والرकاز ، وخروج أرض ، وجزية رءوس ، وتركة من لا وارث له .

وهناك قانون الكفاية . فقد روى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس . وقال

صلى الله عليه وسلم « من كان معه فضل ظهر فلبعده
به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليبعد
به على من لا زاد له . »

يقول المؤرخ المعاصر هـ جـ ولزـ .

لقد ساد الإسلام لأنّه خير نظام اجتماعي وسياسي
استطاعت الأيام تقاديه ، وهو قد انتشر لأنّه كان
يمجد في كل مكان شعوباً تسلب وظلم وكان يهب
بني الإنسان نظاماً أفضل من أي نظام آخر .
لكن أين يقف الإسلام بين النظم والمذاهب
الاقتصادية المعاصرة ؟

لم يكن الإسلام رأسانياً حين أقر الملكية الفردية ،
لأنه حال دون تجمعها في يد واحدة ، أو أبد
قليله حين وضع نظام الأرث فعمل على تفتيت هذه
الملكية ثم حملها - أي الملكية الفردية - حقوق
الجماعة وجعلها وظيفة اجتماعية ، وأغدق الإسلام
الحرية على الفرد بشرط الألا يضار بهذه الحرية
غيره من الجماعات البشرية ، وأمره بطاعة ولـي
الأمر إذا ما التزم ولـي الأمر طاعة الله وحـلـودـه .
كما أن الإسلام ليس اشتراكياً بالمعنى العلمي

لهذه الكلمة لأنه لم يحل بين الفرد وحده في التملك والحرية .

وبالتالي فلا صلة بين الإسلام والحضارة الغربية في نظامها الرأسمالي أو الماركسي .

فالإسلام دين ودولة والحضارة الغربية تفصل بين الدين والدولة ، والإسلام سموه روحانية ، والحضارة الغربية تمحّد الروح ولا تقر إلا بالمادة .

والإسلام يقرر حقاً للفرد على المجتمع ويفرض عليه حقوقاً تجاه هذا المجتمع ، والحضارة الغربية قلقة متعرّة تمسّك للفرد أحياناً حتى يطفي ، وتتّكر وجوده أحياناً حتى يموت ويُشّقى .

والإسلام تكافل وسحة والحضارة الغربية بفضاء وكراء . والإسلام فوق ذلك كله نظام إلهي للإنسانية . والحضارة الغربية كغيرها من الحضارات التي عرفها التاريخ ولسوف تنقضي كما انقضى غيرها مهما بلغت من القوة .

« صبغة الله ...

ومن أحسن من الله صبغة .. »

اقطاع ... واقتطاع

لقد أندلَّ الإسلامُ الطبقاتَ الدينيَّةَ من
السبعين العيَّد ، وحررَهم من سلطة
القطاعين الذين كانوا يعبرون الفلاحين
عيَّداً لهم كما كانوا عيَّداً للأرض .
[دوزي]

الاقطاع معناه في الشريعة الإسلامية تملك ، «الإمام» أرضاً لا مالك لها لأنّان يقوم بعمارتها واستغلالها على أن يتم ذلك خلال مدة معينة ، فان انقضت ولم يفعل شيئاً من ذلك استردها الإمام منه وأعطها لغيره ...

هذا هو الاقطاع الذي جرى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ومن بعدهم ثم أطلق الاقطاع - بعد ذلك - على منح «الإمام» بعض الناس غلة أرض من أراضي الدولة تقديراً لجهادهم في الجيش ، أو لعظيم فائدتهم للأمة ، واقطاع الأراضي لا يكون إلا في الأراضي التي

ليت مملوكة لأحد ولو كانت خراباً ، ولبت من المراقب العامة التي يحتاج إليها سكان المدن أو القرى أو الصحراء ، وليس فيها معدن من المعادن التي يحتاج إليها الناس . وما عدا هذه الأنواع من الأرضي فن حق « الإمام » أن يقطعها لمن شاء ولا يجوز له أن يفعل ذلك محايبة بل عليه أن يتغى في ذلك الأنفع للأمة والصالح العام ..

هذا هو الاقطاع الذي عرفه الإسلام ، وهذا هو تعريفه كما نصت عليه أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ... فتى .. عرف المسلمون الأوائل نظام الاقطاع وما هي الأسباب التي دعت إليه في تلك الأيام ؟ كانت بلاد العرب حين ظهر الإسلام ما بين أرض مملوكة لأصحابها وما بين أرض لا مالك لها ومنها ما كان مرعى للابل والأغنام . ولما بدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتنظيم شئون الدولة الإسلامية كان مما اتجهت إليه عناته اصلاح الأرضي الميتة التي لا مالك لها ، فأعلن أن من أحيا أرضاً ميتة فهي له . وتقديم إليه بعض الناس يطلبون منه أن يمنحهم من تلك

الأرض ما يقومون بعمارتها ففعل ، وسي عمله
هذا ، اقطاعاً .

وقد أقطع الرسول - صل الله عليه وسلم - الزبير بن العوام وبلال بن العارث وعمرو بن حرث وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وغيرهم بعض هذه الأراضي لاحيائها وعمارتها . ولما بدأت المعركة بين الدولة الإسلامية ، وملكني الفرس والروم - عقب وفاة الرسول - انتهت تلك المعركة باستيلاء الإسلام على أكثر أقطار تلك الملكتين ، ووُجِدَت الدولة الإسلامية نفسها أمام أراضٍ واسعة ليس لها مالكون ... وهنا قفت سياسة الدولة الإنسانية باحياء تلك الأراضي وإعمارها ، فأقطعها الخلفاء من يقوم عليها ويحسن استثمارها .

ذلك هو أصل اقطاع الأرض في الدولة الإسلامية وهو كما ترى عمل عمراني أدى إلى تقديم الخدمات المالية للدولة وثرتها الاقتصادية .

وفي أكثر الحالات لم يخرج الإقطاع عن حدوده الشرعية ، وهو أن تكون الأرض المقطعة أرضاً

مواتاً أو من أراضي الدولة ، ويكون ذلك لمن يحسن
عمارتها واستغلالها .

وهل وضع الإسلام شروطاً خاصة لتمليك
الأرض على مسيل الاقطاع ؟ .. تعم

لم يكن تملك الأرض بالاقطاع والاحياء بدون
شروط ولا قيود ، فقد منعت الشريعة الإسلامية
احتيازها أكثر من ثلاثة سنين دون عمارة ، أو اقتناها
دون القدرة على عمارتها ، فقد حدث أن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - أقطع بلال بن الحارث المزني
قطعة من الأرض فلم يستطع عمارتها ، ولما تولى
عمر بن الخطاب الخلافة قال : يا بلال إنك استقطعت
رسول الله - صلی الله علیه وسلم - أرضاً طويلاً عريضة
فقطعها لك وإن رسول الله - صلی الله علیه وسلم - لم
يكن يمنع شيئاً يسأله وأنت لا تطبق ما في يديك فقال :
أجل . فقال : فانظر ما قويت عليه فامسكه وما لم

تقوى عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين .

أو ليس عمل عمر بن الخطاب هذا حقاً قبل
عشرة ونصف من الفرون ما تمنى الفيلسوف الانجليزي

١٠ هربرت سبنسر « يفكّره الثاقب في العصر الحاضر ..؟ هذا عن الاقطاع في الإسلام فاذا عن الاقطاع في أوروبا ..؟

ان الاقطاع الذي عرف عند الغربين في القرون الوسطى كان عبارة عن تملك السيد للأراضي واسعة بنعها من الفلاحين وما عليها من الحيوانات ملكاً مطلقاً يبيع له التصرف فيها وفيهم غير مقيد بقانون ولا حلق ، واذا باعها مالكها لآخر انتقلت ملكيتها وفلاحوها وحيواناتها الى المالك الجديد، وهذا ما ياباه الاسلام في تشريعه وخللت منه حضارته في مختلف عصورها . فالفلاح في نظر الاسلام إنسان «حر» له كرامته ، وله شخصيته وأهلية الكاملة . ولا ارتباط له بالأرض التي يعمل فيها - ان لم يكن مالكاً لها - الا ارتباطه بأبي عمل يتعاقد عليه مع

ولم يقع قط في تاريخ الحضارة الإسلامية أن أرضاً يعت فانتقل إلى المالك الجدید ملكية فلاجیها.
والذی كان يقع هو أن الفلاحین « المزارعين »

كانوا يخرون بين ان يستمرؤا في زراعتهم للأرض مع المالك الجديد وبين أن يعملوا في أرض أخرى ، وحقهم في حرية الاختبار هذا حق ثابت لهم بموجب نظام العقود في الشريعة الإسلامية ومن ثم ... فان الاقطاع الذي عرفه الإسلام في مبدأ ظهوره شيء آخر مختلف تماماً عن الاقطاع الذي عرفه أوروبا في قرونها المظلمة .

ان الاقطاع الذي عرفه الإسلام كان للتعمير أما الاقطاع الذي عرفه أوروبا فقد كان اقطاعاً يتسم بالضموجية واستبعاد الإنسان ، والتزول به إلى مرتبة وضيعة تمحو ما يقى من آدمية ، وتخرب مراافق الحياة التي تقوم عليها حضارة البشرية مادية ومعنوية .

- ان العلاقة الوحيدة بين الاقطاع الذي عرفه الإسلام والاقطاع الذي حكم أوروبا فترة طويلة من الزمن علاقة اسمية لا وجود لها في الشريعة الإسلامية ... ولكن كيف نشأ هذا الاقطاع الأوروبي ..

لما تقوض نظام الامبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس للميلاد انهار في أوروبا صرح الوحيدة العبرانية والسياسة الاقتصادية ، وانقسمت الأئمة التي كانت تربط بين مختلف الأقطار والشعوب ، وانقسمت بلاد أوروبا كلها قطعاً صغيرة وتجزأ كل قطر جغرافي إلى أجزاء متعددة ، وهكذا ابتدأ في أوروبا ذلك النظام الخاص الذي يصطدح عليه بنظام الإقطاعية . وفيما يلي تعرض لتلك المظاهر التي صاحبت هذا النظام الذي قام في أوروبا اثر انحلال الامبراطورية الرومانية .

أ - أصبح تملك الأرض وحيازتها أساساً للقوة وعلو الكلمة . فاستأثر بالسلطة والسيادة أصحاب الأراضي الذين أخذوا هذه الأرض منحة من الحكام الذين استخدموها هؤلاء الإقطاعيين في تسخير المزارعين وما تحت أيديهم من الحيوانات والماشية .

فأصبح مثل المجتمع في هذه التفرقة كمثل (السلم) الجالس على درجة من درجاته إله لمن تحته

وعبد لمن فوقه . وعلى رأسهم جميعاً أسرة الحاكم
وتحت أقدامهم عامة الشعب الذين سلباً كل حق
وحرية .

ب - انضمت الكنيسة المسيحية التي كانت تتنطق
باسم الآله وتحاطب الناس بلسانه دون سند شرعي
إلى جهة الإقطاع ومساندة نظامه وأعده . فمدت
يد المساعدة - بالنصوص المخترعة إلى النبلاء
والإقطاعيين وباركت علوائهم المدبر على طبقات
الشعب المحرومة الجائعة ، واعتبرت كل خروج
على هذا النظام كفراً وخطيئة .

ج - ولا لم تكن هناك سلطة مركبة وحكومة
قوية فقد اهلت جميع وسائل العمران والتجارة
وانقطعت أسباب العمل ، وقد الناس الأمن والراحة
وراحوا يدورون في حلقة مفرغة من الضياع والحرمان
والذلة .

د - انحصرت الصناعات البسيطة والتجارات
المحدودة في اسر خاصة ومنع غيرها من الاحتراف
والعمل فيها فأدى كل ذلك إلى انتشار الكباد

والبطالة بين غالبية الشعب النعمة المحرومة .
فكان من الطبيعي في ظل هذه الظروف القاسية
أن تصبح الأرض وما فرقها من الناس والماشية ملكاً
لهذه الأقلية المترفة المحظوظة .

يقول « دوزي » المستشرق المعروف في كتابه
تاريخ الأندلس : لقد اتى الإسلام الطبقات الدنيا
من المسيحيين العبيد من العبودية والظلم ، وحررهم
من سلطة الإقطاعيين الأقوياء الذين كانوا يعتبرون
الفلاحين - لا عبیداً لهم فحسب - بل عبیداً للأرض
أيضاً .

لقد كان الفتح العربي حسنة بالنسبة لـ إسبانيا . فقد
حقق ثورة اجتماعية ذات أهمية بالغة ، وأزال
قسمًا كبيراً من الآلام التي كانت ترثح تحتها
البلاد منذ قرون طويلة . فان سلطة الطبقات ذات
الامتيازات ، وسلطة الكنيسة والبلاء زالت عن
الطبقات الدنيا من المسيحيين وهم العبيد وأقنان
الأرض ، وزوّدت الأراضي المصادرية بين عدد كبير
من أفراد هذه الطبقات المستغلة المظلومة ، وكان

تحقيق الملكية الصغيرة مصدراً للسعادة وسبباً لازدهار الزراعة في اسبانيا العربية ثم يقول : لقد حكم المسلمون وفق الطريقة التالية :

خفضت الضرائب تخفيفاً عظيماً بالنسبة لما كانت عليه أيام الحكم السابقين ، وصودرت الأراضي من أصحابها الأغنياء حيث كانت تشكل اقطاعات عظيمة جداً ، تزرع من قبل العبيد والاقنان ، وزوّدت بين هؤلاء الذين كانوا يعملون عليها وكان المالكون الجدد (العييد) يعملون بحماسة ، ويستجرون أفضل المحصول .

لقد كان الاسلام ثورة .. ولكنها ثورة العدل على الجور ، والكافية على الفقر وكان الاقطاع بمعناه الاسلامي قطيعة للبلاد التي تقعد بالهمم ودعوة للعمل في أرض تقول : أين البنور والمطر ؟

الربانيون أصحاب الوقف

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاثة :

- صلة جاروية ...
- أو علم ينفع به ...
- أو ولد صالح ينور له ...
- محمد رسول الله ،

الوقف تضمنية بصالح الفرد في سبيل المجموع
ويبدل دلالة تاريخية على تأصل الإيثار والرحمة في
ضمير الأمة المسلمة والمجتمع المسلم ..

ان الفرد المؤمن كان يخرج عن ملكه طائعاً مختاراً
إيثاراً لأخوانه الذين لا يملكون ، وابتغاء رضاه الله
الذى استخلفه على ما تحت يده ليبلوه فيما آتاه .
وعند مراجعتنا لنص من نصوص هذه الأوقاف
نعني رءوسنا اعجاباً بهذه التضمنية والإيثار الذي كان
شائعاً في كل جانب من جوانب المجتمع الإسلامي .
وهذا نص أحد عقود الوقف التي صدرت عام
٤٠٢ هـ أي قبل ان يسمع الناس شيئاً عن التكافل
والاشراكية بقرابة ألف عام .

« بسم الله : هذا ما أوقف الفقيه عبد الله بن محمد
بوقبته هذه الضيقة بحدودها وحقوقها وطائرها
ووغرها وبناتها ومعابرها وخبانها وشجرها ومجازها
وكل ما هو حق فيها لها . وكل حق فيها خارج منها
حسباً ثابتاً ما دامت الأرض ومن عليها » .

فإلى أي مدى نجح نظام الأوقاف في تحقيق العدالة الإجتماعية بين الناس ؟

لقد استفاد المجتمع من هذه الترعة الجماعية الخيرة الحرة خدمات شتى ... فقد كان الفرد يتنقل في رحاب ديار الإسلام من أقصى المغرب إلى حدود الصين لا يحس غربة ولا يفتقد حاجة فعل الرغم من صعوبة المواصلات بحكم ظروف ذلك العصر فقد كانت لفترة الإسلام المعبرة لرعاية « ابن السبيل » وهو المسافر الذي قطعت به السبل وتفقد ماله بمثابة توجيهه رشيد لرعايـة الطرق ووسائل المواصلات ومحطـات الاستراحة واحتياجـات المسافـرين. ويتحدث « الاصطخري » مثلاً في القرن الرابع الهجري عن أهل ما وراء النهر ، وهو نهر سيحرـون في آسيا :

واما سـاحتـهم : فـانـ النـاسـ فيـ اـكـثرـ ماـ وـراءـ النـهرـ كـائـنـهـ فيـ دـارـ وـاحـدةـ . ماـ يـنزلـ أحـدـ بـأـحـدـ الاـ كـائـنـ رـجـلـ دـخـلـ دـارـ نـفـسـهـ لـاـ يـجدـ المـضـيفـ منـ

طارق - في نفسه كراهة بل يستفرغ مجهوده في اقامة أوده من غير معرفة تقدمت ولا توقع مكافأة . وبمحبتك أنك لا تجد فيهم صاحب ضيعة الا كانت همته ابتناء قصر فسيح ومنازل للأضياف . قرابة في عامة دهره متأنقاً في اعداد ما يصلح لمن طرقه . فإذا حل بينهم طارق تنافسوا فيه وتنازعوه .

ولقد شهدت متزلاً « بالسند » ضربت الأوتواد على باب داره فبلغني ان يابها لم يُرِدْ منذ مائة سنة وأكثر لا يمنع من زروطا طارق وربما نزل بغنة من غير استعداد . المائة والمائتان بدوا بهم .

وحشهم فيجدون من علف دوابهم وطعامهم ما يكفيهم من غير أن يتتكلف صاحب المتزل أمراً لذلك فقد أقيم على كل عمل من يشتغل به واعد ما يحتاج إليه على دوام الأوقات بحيث لا يحتاج معه إلى تجديد أمر عند طرقوهم . وصاحب المتزل من البشاشة والإقبال والمساواة بحيث يعلم كل من شاهده سروره بذلك وسماحته .

ولم تكن رسالة الأوقاف خاصة في ناحية واحدة

من نواحي البر والخير . فقد كانت علاوة على ما ذكرنا من توفير العيش للجائعين والمحرومين وعابري السبيل . تعني بإنشاء المستشفيات والمدارس وغيرها من الخدمات الإنسانية التي تتطلبه حاجات المجتمع ومطالبه المختلفة .

وقد بني المسلمون دور الشفاء من أموال هذه الأوقاف ورصدوا في بيت المال ما يغاث به الملهوف ويungan به المسافر ويحرر به الرقيق . ورصدت الأوقاف لإقامة مصحات يعالج فيها « الملك والملوك » والكبير والصغير والحر والعبد . وكان المريض اذا ما برىء وخرج تلقى منحة وكسوة ، وصرف العلاج والأدوية للذين يفضلون البقاء في منازلهم من المرضى . وقد قدرت الحالات التي يعالجها أحد المستشفيات في اليوم الواحد بعدهة آلاف حالة ، والحقت بعض المستشفيات مدرسة للطب يجلسن فيها رئيس الأطباء لإلقاء درس طب يتتفع به الطلبة .

كذلك رصدت الأوقاف لإقامة الحمامات العامة وقد ورد في وثيقة أوقاف الغوري على عمارته أن

الحمام الذي أُلْحِقَ بهذه العماائر يشتمل على بيت
أول به حوضان وبيت حرارة به أربعة أحوااض
وجرن وخلوة ومجفف مفروش بالرخام ، كما
أن المدارس التي أقيمت بأموال الأوقاف لا يزال
بعضها قائماً إلى الآن في مختلف بلاد الإسلام .
إن الإنسان يعني رأسه اعجباً لتلك الدوافع النبيلة
التي كانت تغيب بها قلوب المسلمين في تلك الأزمنة
الماضية البعيدة .

قبل أن يسمع الناس بالعدالة الاجتماعية والإشتراكية
و قبل أن يعرف العالم حقوق الإنسان كان الإسلام
قد فرغ من هذه القضايا كلها منذ أربعة عشر قرناً .
إن رعاية الدولة الإسلامية لم تقف عند الإنسان
وحده . وإنماجاوزت هذه الدائرة دائرة أوسع
منها وأشمل فالمرفق بالحيوان شعيرة من شعائر
الإيمان عند المسلم . وإذا كان الرسول - صلى الله عليه
وسلم - يقرر أن رجلاً دخل الجنة لأنه سقى كلباً أشرف على
الملائكة من شدة الظلماء . وإن امرأة دخلت النار لأنها حبت
قطة من القطط دون طعام ولا شراب . فإن المسلمين

الذين يتخذون من نبيهم المثل والقدوة قد وعوا
هذه الحقائق النبيلة فترجموها عملياً في واقع حياتهم
ودنياهم .

ومن ثم فنحن لا نعجب حين نطالع حجج
الأوقاف فترى وقفاً رصدت أمواله لإطعام الكلاب
والقطط الضالة التي ليس لها صاحب استناداً لها
من الجوع حتى تستريح بالموت أو الاقتاء . يحدث
هذا قبل أن يسمع العالم عن جمعيات الرفق بالحيوان
التي جاءت تقول للناس ما قاله محمد - صلى الله عليه
 وسلم - قبل ذلك بأربعة عشر قرناً من الزمن . . .

لقد تنوّعت الأوقاف واتخذت صوراً كثيرة تكاد تشمل
كل ذي حاجة وعلة من بين أفراد المجتمع والناس ،
فهناك أوقاف لإنعانة الفتيات على الزواج ..
 وأوقاف لختان الأطفال .

وأوقاف للتعليم وأوقاف للحج .

وأوقاف ينفق منها على اليتامي .

وهناك أوقاف بلغت الغاية في دلالتها الإنسانية
ورقيها . فهناك وقف نشتري منه صحاف الخزف
الصيني . فكل خادم كسرت آنيته وتعرض لغضب

مخذومه له أن يذهب إلى دائرة الأوقاف فيترك
الأناء المكسور ويأخذ أناء صحيحاً بدلاً منه وبهذا
ينجو من غضب مخدومه ...

وهناك وقف يسمى وقف الأعراس وهو وقف
لإعارة الحلى والزينة في الأعراس والأفراح يستعير
منه الفقراء ما يلزمهم في أفراحهم وأعراسهم . وبهذا
يتيسر للقراء أن يظهروا يوم عرسهم بحلة لائقة
ولعروسهم أن تتجلى في حلية رائعة حتى يكتمل
الشعور بالفرح وتنجبر الخواطر المكسورة .

وهناك وقف يؤسس من رباعه بيت ويعد فيه
الطعام والشراب وما يحتاج اليه الساكنون - تذهب
اليه الزوجة التي يقع بينها وبين زوجها نفور وتظل
أكلة شاربة الى أن يذهب ما بينها وبين زوجها من
الجفاء وتصفو النفوس فتعود الى بيت الزوجية من
جديد .

وهناك وقف ينفق منه على عدة مؤذنين من كل
رخيم الصوت حسن الأداء قبر تلون القصائد الدينية
طوال الليل بحيث يرثى كل منهم ساعة حتى مطلع
الفجر سعيأً وراء التخفيف عن المريض الذي ليس

له من يخفف عنه وainas الغريب الذي ليس له
من يوفنه .

وهناك وقف يسمى وقف « خداع المريض »
وهو وقف يقوم على معالجة المريض بالإيحاء ويكون
ذلك بأن يقف اثنان من المرضى قرابةً من المريض
بحيث يسمعهما ولا يراهما فيقول أحدهما لصاحبه :
ماذا قال الطبيب عن هذا المريض فيرد عليه الآخر .
ان الطبيب يقول انه لا بأس به فهو سيشفى ان شاء
الله . وربما نهض من فراشه بعد يومين أو ثلاثة أيام ..
وهكذا سلك الواقفون كل مالك الخير فلم
يدعوا جانبًا من جوانب الحياة دون أن يكون للخير
فيه نصيب .

وهم بهذا أنما يصدرون عن احساسات انسانية
عميقة تفقد الى مواطن الحاجة التي تعرض للناس
في كل زمان ومكان متى شئن في ذلك كله قول
النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا مات ابن آدم انقطع
عمله إلا عن ثلاثة . صدقة جارية ، أو علم يتفع به ،
أو ولد صالح يدعوه ..

واقع الشيوعية

لقد قتل «ستانين» الملايين باسم الشعب .
وتمر الشعب الروسي باسم الحزب . وقد
آن الأوان لكشف حقيقة هنا السفاح الذي
حارت قراه حين دقت طبول العرب
نيكينا خروشوف

لقد اتيحت لاتباع المذهب الشيوعي فرصة لم تتح
قبل المذهب من المذاهب الدينية والاجتماعية لأنهم
ملكو أزمة الحكم ، وتفلبو على كل عقبة قامت أو
تخيلوا أنها قائمة في طريق مذهبهم .
والواقع - بعد هذه الفرصة . وبعد مضي أكثر
من نصف قرن على قيام الحكم الشيوعي في روسيا -
يشهد بأن الفلسفة المادية التي يشرون بها لم تصنع
أكثر مما يصنع كل قادر على السلطة مالك زمامها ..
لم يصنع الشيوعيون أكثر مما صنع المذهب النازى
في المانيا حين كان يحكمها هتلر ولم يصنع الشيوعيون
أكثر مما صنع موسوليني في ايطاليا الفاشية ، ولم يصنع
الشيوعيون أكثر مما صنع اليابانيون في امبراطوريتهم
المشرقية . إن التقدم الذى أحرزته روسيا كان تقدما
صنعته السلطة والقوة الحاكمة - وفيها عدا التصنيع
والتسلح - يقال على الأجمال : إن التجربة الشيوعية
قد نجحت بمقدار ما تركت من المذهب الشيوعى
وابتعدت عن جمود نظرياته وفلسفته ..
فالذهب الشيوعي أصلاً لا يعترف بالدين ولا

بالوطنية ، ولا بالأسرة ولا بالملكية الخاصة – فإذا نظرنا إلى الواقع المشاهد اليوم في مختلف البلاد الشيوعية فاننا نجد هذا الواقع يضطر مرغماً للأعتراف بهذه الحقائق التي تنكرها فلسفة الخاطئة ...

فالزعاء الشيوعيون قد اضطروا على الرغم منهم إلى الاعتراف بالشعائر الدينية في مجتمع حكموه حوالي خمسين سنة^١ . وما اضطرهم إلى ذلك إلا شعورهم بمحنة الضماير التي تعلو على الفلسفة المادية .. واعترفوا بالوطنية لنفس هذا السبب خاصة بعد أن قامت الحرب العالمية الثانية التي يخوضها الحزب الشيوعي لأول مرة ورأوا كيف يقاتل جنودهم بلا هدف ولا غاية فأثاروا حماستهم بحماية الوطن وتحريره ..

وقد سمعنا كلامهم في مؤتمر الفلسفة عن الأسرة وقد استها وقيام المجتمع والوطن على دعائهما وهم الذين يقولون فلسفتهم باللغة الأسرة واعتبارها أثراً من آثار البورجوازية والرأسمالية ..

ورأيناهم بعد ذلك يسيحون الأرض والملكية الخاصة بعد أن كانت هذه الملكية خيانة وجريمة شيوعية .
(١) وهو اعتراف شكلي للدعابة .

وسعناهم بعد ذلك يتهدتون عن جرائم الاختلاس
والرشوة ، وضعف الانتاج والثروة . والأهمال في ادارة
المصنوع والمزرعة ، حتى أن روسيا لم تجد عندها من
الحبيوب ما يكفي لاطعام شعبها بقية السنة ، فاشترت
من كندا قمحاً بخمسة ملليون من الجنيهات بالعملة
الصعبة »

ورأيناهم بعد ذلك يتمهون « خروتشوف » بالقصدير
في واجباته العامة ، ويتمهون بالمحسوبية وسوء استعمال
السلطة والمعطرة والرفاهية بعد أن فتح لروسيا آفاقاً
جديدة ، وعقد صداقات كثيرة بين بلاده وشعوب
العالم المختلفة ثم ينسى هذا كله في لحظة ، وينقل
في هذه إلى متأهات الظلم والعزلة ..

فإذا انتقلنا إلى وسائل الانتاج والزراعة رأينا عجباً
ما يحدث في البلاد الشيعية فالناس يهاجرون من
البلاد الشيعية بحثاً عن اللقمة ، وفي المانيا الشرقية

وقد اتفق بريجينيف في لقاء موسكو الأخير مع نيكسون رئيس الولايات المتحدة
على بيع روسيا تسعاً قيسته أكثر من ثمانمائة مليون دولار خولاً من المجاعة
التي تهدد شعب الاتحاد السوفيتي .

لم تستطع الحكومة أن توفر آلات الحرش والزراعة فعادت إلى الوسائل البدائية القديمة . وفي بلغاريا اعترفت الحكومة بأن انتاج اللين والبيض والصوف غير كاف لاطعام الجماهير الجائعة ، وفي تشيكوسلوفاكيا أعلن رئيس الدولة نقص كميات كبيرة من المواد الغذائية فقام الطلبة في « براغ » بمظاهرات صاحبة . وفي المجر اعترف كانوس كادار رئيس الوزراء بوجود انشقاق في الحزب الشيوعي بسبب ارتفاع أسعار المواد الضرورية وفي رومانيا أعلن رئيس الوزراء الغاء وزارة الزراعة لفشلها في مهمتها الرئيسية وأبقى على المزارع الفردية لنجاحها أكثر من المزارع الجماعية . وقد أعلن خروج تشاو في عام ١٩٦٩ قبل أن يغادر منصبه - زيادة أسعار المواد الغذائية بنسبة ٣٠ بالمائة .

وقد بدأت حرب المشورات في الاتحاد السوفيتي منذ أسبوع قليلة و يقول واحد من هذه المشورات : إن أجر العامل في الاتحاد السوفيتي لا يزيد على ثلث ما يجب أن يكون عليه الأجر الحقيقي للعامل . وهو على الرغم من هذه الخسارة يدفع كثيراً من الضرائب .

وأين تنفق كل هذه الأموال ؟ ينفقها رجال الدولة في الكرملين .. ينفقونها على حياتهم المترفة ، وعلى بيونهم الريفية المكيفة ، وعلى سيارات الليموزين الفاخرة . ينفقونها على مطالبهم الخاصة التي يحصلون عليها من الخارج في غياب الشعب ، وعلى استر احاتهم الخاصة ومستشفياتهم الخاصة . انهم يعيشون في مستوى أرفع بكثير من مستوى القياصرة ! ويستغلون الطبقة العاملة التي لا تستطيع توفير حاجاتها الضرورية ..

ويقول منشور آخر : لماذا يأتي الشعب السوفيتي في حساب درجة المعيشة في الدرجة السادسة والعشرين بين شعوب العالم ؟ ولماذا يتغاضى العاطل عن العمل في الغرب أربعة أضعاف ما يتغاضاه العامل السوفيتي يحدث هذا اليوم في روسيا . كما حدث قبله في المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والنتيجة الحتمية لهذه الثورة هي الانفجار الذي لا بد من وقوعه والثورة التي تأكل الثورة .. ١١١

وثيقة ... للتاريخ

، فأنها لا تعمي الأ بصار
ولكن تعمي القلوب التي
في الصدور ...»

قرآن كريم

.. وبعد

« فان احق ما انتهزت فرص اجره العزائم ،
واحرزت مواهب بره الغنائم ، وأجدر ما تنبه لاغتنام
ثوابه كل نائم ، وأولى ما توجه اليه كل متوجه وقام
اليه كل قائم ، ما عادت بالخيرات عوائده ، وزادت
في المرات زوائده ، واستمرت على الآباء فوائده ،
واستقرت على التقوى بتطاول الآمال قواعده : وهي
الأوقاف العظيم برها ، المقيم أجرها ، الجسم
وفرها ، الكرييم ذخرها ، فهي الحسنات التي هي
الجنان ، والقربات التي فيها رضوان الرحمن ،
والصدقات التي هي مهور الحور الحسان ، والنفقات
التي هي بحور الأجر واللؤلؤ والمرجان ... ولا يخفى
ما فيها من ادخال السرور على المريض الفقير ، وابصال
الحبور الى قلبه الكبير ، واغناهه بأيواته ومداواته ،
الذى لا يعبر عن وفور اجرها بتعبير ، فطوى لمن عامل
مولاه العزيز الفغار ، وراقيه مراقبة العالم بسره ونجواه
في الابرار والاصدار ، وأقرضه أحسن القروض .
على حب الأمكان والاقتدار . وانتهز الفرصة
بالاستيق ، وأحرز باغتنام اجرها قصب السيف ،

فاسعد الفقير المسلم على إزالته ألمه ، ومداواة سقمه .
مساعدة تنجيه غدا من عذاب ربه الخلاق . ورجاء
أن تكون له بها عند الله الرتبة العظمى ، والقربة التي لا
يخاف بأجرها ظلما ولا هضما . والحسنة التي لا
تبقى لذنبه هما . ولما علم بذلك مولانا السيد الأجل .
السلطان الملك المنصور العالم العادل . فتقدم امره
الشريف بوقف البيمارستان المنصوري ... (وهذا
تذكر الوقية وصفه ومكانه) لمداواة مرضى
ال المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثريين والفقراe
المحتاجين . بالقاهرة ومصر وضواحيها ، من
المقيمين بها والواردين إليها من البلاد والأعمال على
اختلاف اجناسهم وأوصافهم ، وتبادر امراضهم
وأوصابهم : من امراض الأجسام قلت او كثرت
اتفاق او اختلاف . وامراض الحواس خفيت او
ظهرت ، واحتلال العقول التي حفظها اعظم المقاصد
والأغراض ، واول ما يجب الأقبال عليه دون
الأنحراف عنه والأغراض . وغير ذلك مما تدعوه
حاجة الإنسان الى صلاحه واصلاحه ، بالأدوية

والعقاقير المتعارفة عند أهل صناعة الطب ، والانشغال
فيه بعلم الطب والاشغال به ، يدخلونه جموعاً
ووحداناً ، وشيوخاً وشباناً ، وبلغاء وصبياناً ،
وحرماً ولداناً يقيم به المرضى الفقراء من الرجال
والنساء لما داواتهم الى حين برائهم وشفائهم ، ويصرف
ما هو معد فيه للمداواة ، ويفرق للبعيد والقريب ،
والاهلي والغريب ، والقوى والضعف ، والدنى
والشريف ، والعلى والحقير ، والغنى والفقير ،
والمأمور والأمير ، والأعمى والبصير ، والمفضول
والفاضل ، والمشهور والخامل ، والرفيع والوضع ،
والمترف والصلوكة . والملك والملوك . من غير
اشتراك لعوض من الأعواض . ولا تعريض يانكار
على ذلك ولا اعتراض . بل لمحض فضل الله وطوله
الجسم . وأجره الكريم . وبره العجم . وأمرة باجراء
النفقات على من يقوم بمصالح المرضى من الأطباء
والكحالين . والجراثين . وطبافي الشراب والمزاور
والطعوم . وصانعي المعاجن والأكمال . والأدوية
والمسهلات المفردة والمركبة : وعلى القومة والفراسين

والخزان والأمناء والمبashرين وغيرهم من جرت
عادة أمثالهم بذلك ، وعلى ما قدم بعدواه
المرضى من الأطعمة والاشربة والأدوية المركبة والمفردة
والاكحال والشياقات ، والمعالجين والراهن . والأدهان
والشربات والفرش والقدور والآلات المعدة للارتفاع
بها في مثله . ويصرف الناظر من ربع هذا الوقف ما تدعي
حاجة المرضى إليه من مشروم في كل يوم ، وزبادي
فخار برسم أغذيتهم ، وأقداح زجاج وغزار برسم
أشربتهم ، وكيزان واباريق فخار ، وزيت للوقود
عليهم ، وبماء من بحر النيل المبارك باسم شربهم
واغذيتهم ، و... لأجل تغطية أغذيتهم عنـ صرفها
عليهم ، وفي ثمن مراوح خوص لأجل استعمالهم إياها
في الحر ، ويصرف الناظر ثمن ذلك من ربع هذا الوقف
في غير اسراف ولا اجحاف . ولا زيادة على ما يحتاج
إليه . كل ذلك بحسب ما تدعي الحاجة لزيادة الأجر
والثواب . ويصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين
مسلمين موصوفين بالديانة والأمانة . يكون أحدهما
خازناً لمخزن الأدوية ، يتولى تفرقة الأشربة

والاكلات والأعشاب والمعالجين والأدهان والشيافات المأذون له في صرف ذلك من المباشرين . ويكون الآخر امينا يتسلم صيحة كل يوم وعشيته اقداح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين من الرجال والنساء المقيمين بهذا المارستان . ويفرق ذلك عليهم ويباشر شرب كل منهم لما وصف له من ذلك . ويباشر المطبخ بهذا المارستان وما يطيخ له للمرضى من مزاور ودجاج وفرازيع ولحم وغير ذلك . ويجعل لكل مريض ما طبع له في كل يوم في زبدية متفردة له من غير مشاركة مع مريض آخر . ويعطيها ويوصلها الى المريض الى ان ينكمال اطعمتهم ويستوفي كل منهم غذاءه وما وصف له بكرة وعشية . ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصحه بهذا المارستان من الأطباء المسلمين الطبائعين والكحائين والجراثيمين بحسب ما يقتضيه الرمان وحاجة المرضى . وهو مخير في العدة وتقرير الجامكيات ما لم يكن في ذلك حيف ولا شطط . يباشرون المرضى والمختلين الرجال والنساء بهذا المارستان . مجتمعين ومتناوبين باتفاقهم على التناوب . او باذن الناظر في

النماوب . ويسألون عن احوالهم وما يتجدد لكل منهم من زيادة مرض أو نقص ، ويكتبون بما يصلح لكل مريض من شراب وغذاء وغيره في دستور ورق ليصرف على حكمه . ويلترمون الميت في كل ليلة بالمارستان ، مجتمعين او متداوين ، ويعجلس الأطباء الكحالون لمداواة اعين الرمداء بهذه المارستان . ولمداواة من يرد اليهم به من المسلمين بحيث لا يرد احد من المسلمين الرمداء من مداواة عينيه بكرة كل يوم . ويباشرون المداواة ويتلطفون فيها . ويرفقون بالرمداء في ملاطفتهم . وان كان بينهم من يه قروح او امراض في عينيه تقتضي مراجعة الكحال للطيب الطباني . راجعه واحضره معه وبادر معه من غير انفراد عنه . ويراجعه في احوال برثه وشقائه . ويصرف الناظر في هذا الموقف لن ينصبه شيخا للاشغال عليه بعلم الطب على اختلافه يجلس بالمصطبة الكبرى المعينة له في كتاب الوقف المشار إليه ، للأشغال عليه بعلم الطب على اختلاف أوضاعه في الأوقات التي يعينها له الناظر ما يرى صرفه اليه . ول يكن جملة اطباء اليمارستان المبارك من غير زيادة عن العدد

ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف للقومة والفراشين الرجال والنساء بهذا البيمارستان . ما يرى صرفه الى كل بحسب عمله ، على ان كلاماً منهم يقوم بخدمة المرضى والمخالفين الرجال والنساء بهذا البيمارستان وبغسل ثيابهم وتنظيف اماكنهم واصلاح شئونهم ، والقيام بصالحهم . على ما يراه من العدة والتقدير . بحيث لا يزيد في العدة ولا في المقادير على الحاجة اليه في ذلك بحسب الزمان والمكان .

ويصرف الناظر الى ما تدعوه الحاجة اليه في تكفين من يموت بهذا البيمارستان من المرضى والمخالفين الرجال والنساء . فيصرف ما يحتاج اليه برسم غسله وثمن كفته وحنوطه . وأجرة غاسله وحافر قبره ومواراته في قبره على السنة النبوية والمحالة المرضية ، ومن كان مريضاً في بيته وهو فقير كان للناظر ان يصرف اليه ما يحتاج اليه من حاصل هذا المارستان ، من الأشربة والأدوية والمعالجين وغيرها ، مع عدم التضييق في الصرف على من هومقيم به ، فإن مات بين اهله صرف اليه الناظر في موته بتجهيزه وتغسيله وتكتفيه وحمله الى

مدفنه ومواراته في قبره ما يليق بين أهله . ومن حصل له الشفاء والعاافية من هو مقيم بهذا المارستان المبارك صرف الناظر اليه من ريع هذا الوقف المذكور كسوة مثله على العادة ، بحسب الحال من غير زيادة تقتضى التضييق على المرضى والقيام بمصالحهم ، كل ذلك على ما يراه الناظر ويؤدي اليه اجتهاده بحسب ما تدعوه الحاجة .

وعلى الناظر في هذا الوقف ان يراعي تقوى الله سبحانه وتعالى سرا واجهرا ، ولا يقدم صاحب جاه على ضعيف ولا قوياً على ما هو اضعف منه ، ولا متأهلاً على غريب ، بل يقدم في الصرف اليه زيادة الأجرور والثواب والتقرب الى رب الأرباب ..

هل عرفت البشرية رجالاً من هذا النوع ؟
إنه الاسلام ..

الاسلام ... وكفى أن تنطق به اسماء وتؤمن به قوله وعملاً ... وتعيش به بين الناس رجالاً ! ! !

كيف بدأ التراث

لم يكن هناك خيار لأحد كانت العبرية
فلسفة في مجال الفكر ، وغاية من نظام
الحكم ، وقراراً عند المتكلمين باسم
الدين ...

جيته

القسم الثاني : موقف الإسلام من الورق

كان الرق نظاماً طبيعياً شائعاً عند اليونان ، وليس
أدل على تغلغل الاسترقاق في نظامهم الاجتماعي
والسياسي من إقرار فلاسفتهم له وفي مقدمتهم
أرسطو وأفلاطون ، أما أفلاطون فقد اعتبره علا
ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه ، وكان قاسياً في
النظام الذي سنه لعقاب الأرقاء في جمهوريته الفاضلة
التي كان يحلم بها ، فالعبد الذي يتطاول على حر
غير سيده جزاؤه أن يسلم لهذا الحر ليقتض منه بما
يشاء وكيفما يشاء ، وفي رأيه : ان الرحمة اذا
وجبت بالأرقاء فإنما يجب لا مراعاة لأنهم أناس
يستحقون الرحمة بل لأنهم حقراء اخاء لا يليق
بالأحرار أن يتزلوا الى عقابهم وايذائهم ...

وأما أرسطو فقد ذهب الى أن الله قد خلق فصيلتين
من الناس . فصيلة مدحها بالعقل والارادة وهم اليونان
ليكونوا خلفاء في أرضه وسادة على خلقه . وفصيلة
أخرى لم يمدحها الا بقوه الجسم - وهم الذين ليسوا
من اليونان ، وقد خلقهم الله ليكونوا عبيداً للسادة
اليونان ، وقرر أرسطو : ان كل الحروب التي

يشنها اليونان لاسترقاء غيرهم من الناس حروب
مشروعة ، لأنه ليس من المستطاع أن تستقيم الحياة
الاجتماعية والاقتصادية الا باسترقاء هؤلاء البرابرة
اذا انهم هم الذين يقومون بالأعمال الجسمية التي
أعدوا لها . أما اليونان فيفرغون لما عدّاها من الأعمال
الراقية التي تليق بهم .. وان المصلحة العامة لتفصي
بتتحية العبيد عن المشاركة في شئون الحكم ، أو
انتخاب الحاكمين لأنهم يطبعهم كالحيوانات ومن
الخير للعبيد أن يظلو عبيداً كما خلقهم الله ليخدموا
الوطن كما تخدمه الحيوانات ...

وقد اشتهرت الحضارات القديمة كلها في هذه
الجريمة على قدم المساواة فالقانون الروماني – الذي
ساد أوروبا بعد ذلك – كان يبيع الإسترقاء ،
وبيع للدائن أن يستولى على مدینه اذا عجز عن
الوفاء ، بل كان الرومان يعدون الأسرى والسبايا
وسكان البلد المفتوح ملكاً للقاطع يتصرف فيهم
كيف شاء فله أن يقتلهم وله أن يستعبدهم ، وله
أن يبيعهم . كذلك كان الفرس يعاملون العبيد

والارقاء وكذلك كان المصريون القدماء مع فارق بسيط في معاملة الرقيق عند الخطأ والصواب . وكان المجتمع الإيراني مؤسساً على اعتبار النسب والحرف . وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة . وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشتري أحد منهم عقاراً لأمير أو كبير . وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقتنع كل واحد بمركته الذي منحه نسبة ، ولا يستشرف لما فوقه .. ولم يكن لأحد أن يتخطى حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيئلاً وظيفة من وظائفهم ، وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تغيراً واضحاً ، وكان لكل واحد مركزاً محدد في المجتمع ...

وكانت الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجري في عروقهم دم الهي . وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علويًا مقدساً ... فكانوا يكفرون لهم ، وينشدون الأناشيد باللوهيتهم

ويرونهم فوق القانون ، وفوق الانتقاد ، وفوق البشر . لا يجري اسمهم على لسانهم ولا يجلس أحد في مجلسهم ، ويعتقدون ان لهم حقاً على كل انسان ، وليس لانسان حق عليهم وان ما يقدمون لأحد من فضول أموالهم وفاتناتهم فأنما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق ، وليس للناس قبلهم الا السمع والطاعة . وخصوصاً بيته معيناً - وهو بيت الكياني - فكانوا يعتقدون أن لأفراده وحدهم الحق أن يلبسوا الناج ويجبوا الخراج . وهذا الحق يتنتقل فيهم كابراً عن كابر ، وأباً عن جد ، لا ينزع عنهم ذلك الا ظالم ، ولا ينافسهم الا دعى نذل . فكانوا يدينون بالملك وبالوراثة في البيت المالك لا يبغون به بدلاً ، ولا يرون عنه محضاً . فإذا لم يجدوا من هذه الأسرة كبراً ملكوا عليهم طفلاً ، وإذا لم يجدوا رجلاً ملكوا عليهم امرأة .. فقد ملكوا بعد « شبرويك » ولله « ازدشیر » وهو ابن سبع سنين .. وملك « فرخ خسرو بن كسرى ابرویزه » وهو طفل . وملكوا بوران بنت كسرى . وملكت كذلك ابنة كسرى ثانية

يقال لها : « ازرمي رخت » ولم يخطر ببالهم ان يعلكو
عليهم قائدأً كبيراً ، أو رئيساً من رؤسائهم ..
وكان نظام الطبقات في الهند أعنف وابشع ما يصنع
الإنسان بالإنسان ..

وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرون ازدهرت في
الهند الحضارة البرهية ووضع فيها مرسوم جديد
للمجتمع الهندي وألف فيه قانون مدني سياسي اتفق
عليه ، وأصبح قانوناً رسماً ، ومرجحاً دينياً في حياة
البلاد ومدنيتها ، وهو المعروف الآن : « منوشستر » ..
يقسم هذا القانون الأهالي الى أربع طبقات متميزة .
وهي (١) البراهمة : طبقة الكهنة ورجال الدين .
(٢) شترى : رجال الحرب . (٣) ويش : رجال
الزراعة والتجارة . (٤) شودر : رجال الخدمة ..
ويقول « منو » مؤلف هذا القانون :

« ان القادر المطلق قد خلق لصلاح العالم البراهمة
من فه ، وشترى من سوا عده ، وويش من أحفاده
والشودر من أرجله . وزع لهم فرائض وواجبات
لصلاح العالم . فعل البراهمة تعليم « ويدا » أو تقديم

النذور للآلهة) وتعاطى الصدقات . وعلى الشرى
حراسة الناس ، والتصديق وتقديم النذور ودراسة
« ويد » والتجارة والزراعة . وليس « شودر » الا
خدمة هذه الطبقات الثلاث . وعلى « ويش » رعى
السائمة والقيام بخدمتها ..

« وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات
وحقوقاً الحقتهم بالآلهة . فقد قال : ان البراهمة
هم صفوه الله ، وهم ملوك الخلق ، وان ما في
العالم هو ملك لهم . فانهم أفضل الخلق وسادة
الأرض ، و لهم ان يأخذوا من مال عبيدهم شودر -
من غير جريمة - ما شاءوا لأن العبد لا يملك شيئاً ،
وكل ماله لسيده وان البراهي الذي يحفظ « رك
ويد » (الكتاب المقدس) هو رجل مغفور له ،
ولو أباد العالم ثلاثة بذنبه وأعماله : ولا يجوز
للملك حتى في أشد ساعات الاضطرار والفاقة
أن يجبي من البراهمة جبائية أو يأخذ منهم اتاوة ،
ولا يصح لبراهي في بلاده أن يموت جوعاً وان
استحق براهي القتل لم يجز للحاكم الا أن يحقق

رأسه ، أما غيره فيقتل ..
أما «الشترى» فان كانوا فوق الطبقتين (ويش
وشودر) ولكنهم دون البراهمة بكثير . فيقول :
«منو » ان البراهمى الذى هو في العاشرة من عمره
يفوق الشترى الذى ناهز مائة ، كما يفوق الوالد
ولده ..

اما «شودر» المنبوذون فكانوا في المجتمع الهندى -
بنص هذا القانون المدنى الدينى - أحاط من البهائم ،
وأذل من الكلاب . فيصرح القانون بأن « من سعادة
شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم اجر
أو ثواب بغير ذلك .. وليس لهم أن يقتنوا مالاً ،
أو يدخلوا كتزاً فان ذلك يؤذى البراهمة وإذا مد أحد
من المنبوذين الى برهى يداً أو عصاً ليطش به قطعت
يده ، وإذا رفسه في غضب قطعت رجله وإذا هم
أحد من المنبوذين أن يجالس برهيا فعل الملك أن
يكونى استه أو يحرمه وينفيه من البلاد ، وأما اذا
مسه ييد ، أو سبه فيقتلع لسانه . وإذا ادعى انه
يعلم سقى زيتاً فائزأ . وكفاراة قتل الكلب والقطة

والصفرة والوزع والغراب والبومة ، ورجل من الطبقة المنيوذه ، سواء ...

وماذا كان موقف الديانات السماوية - التي ظهرت بعد ذلك - من قضية هؤلاء المسترقين العباء ؟ أما عند اليهود فقد عرفوا نوعين من الاسترقاء : أحدهما : استرقاء بعض اليهود عقاباً لهم على ارتكاب خطيبة من الخطايا المحرمة شرعاً ، أو وفاء لدين عليهم ..

وثانيهما : استرقاء غير اليهود من الشعوب التي كانوا يحاربونها وكانتوا يسعون أسر اهتم الأرقاء بيع السلع ، ويستخدمونهم في الخدمة بالمنازل ، وفي الزراعة ويعاملونهم معاملة الماشية ..

وكان الاسرائيليون يسترقون جميع النساء والأطفال من البلد الذي يغلبونه .اما الرجال فقد كانوا يضربون رقبتهم بحد السيف ، ويقتلونهم جميعاً كما أمرتهم كتبهم المقدسة وقد جاء في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج : اذا اشتريت عبداً عبرانياً فستسنين يخدم ، وفي السابعة يخرج حرأً مجاناً . ان دخل

وحله فوحله يخرج . وان اعطاه سيده امرأة وولدت له بنتن وبنات فالمرأة وأولادها يكونون للسيد وهو يخرج وحله ، ولكن اذا قال العبد : أحب سيدتي وامرأتي وأولادى لا أخرج حراً ، يقدمه سيده الله ، ويقربه الى الباب او الى القائمة ، ويثقب سيده اذنه بالثقب يخدمه الى الأبد ، وادا باع رجل ابنته امة لا تخرج كما يخرج العبيد ان قبحت في عيني سيدها الذي خطبها لنفسه يدعها تفك وليس له سلطان ان يبعها لقوم أجانب لغدره بها ..

وفي سفر التكوين : ان حام بن نوح - وهو ابن كنعان - كان قد أغضب آباء لأن نوحًا سكر يوماً ثم تعرى وهو نائم في حياته . فابصره حام كذلك ، فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه غضب ولعن نسله الذين هم كنعان وقال : « ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوهه وقال : مبارك رب الله سام وليكن كنعان عبداً لهم » وفي الاصحاح ٢٧ من سفر التكوين « ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام . وليكن كنعان عبداً لهم » وبذلك يكون الرق عند

اليهود نظاماً معترفاً به في كتبهم المقدسة ..
وجاء الدين المسيحي فأقر الرق الذي أقره اليهود
من قبل ونص القديسون على شرعية خدمة الرقيقين
ل saddatihem وليس في الانجيل نص يحرمه أو يستكره .
بل كان بولس الرسول يوصي في رسالته بخلاص
العبيد في خلعة ساداتهم فقال في رسالته الى أهل
« أفسس » .

أيها العيد : أطبيعوا ساداتكم - بخوف ورعدة
في بساطة قلوبكم كما للمسيح ولا بخدمة العين كمن
يرضي الناس ، بل كعيد المسيح عاملين مشيئة الله من
القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس .
علمين انه مهما فعل كل واحد من الخير فذلك يناله
من الرب عبداً كان أم حراً » .

كما أوصى الرسول بطرس بهذه الوصية ،
وأضاف القديس الفيلسوف « توما الاكتوبني »
رأى الفلسفه الى رأى الرؤساء الدينين فلم يعترض
على الرق بل أبده وزakah لانه كما يقول أستاذه
أرسسطو حالة من الحالات التي خلق عليها بعض

الناس بالفطرة الطبيعية ..

وفي المعجم الكبير للقرن التاسع عشر « لا دروس » :
لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين
المسيحيين إلى اليوم فأن نواب الدين الرسميين يقرؤون
صحته ويسلمون بمشروعيته وان الدين المسيحي
ارتضى الاسترقاق تماماً إلى يومنا هذا وتعذر على
الإنسان أن يثبت أنه سعي في ابطاله ،

وفي قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج
يوسف ، قال : إن المحبة لم تفترض على العبودية
من وجهها السياسي والاقتصادي ولم تقل شيئاً ضد
حقوق أصحاب العبيد ولا حركتهم إلى طلب الاستقلال
ولا بحث عن مصار العبودية ولا عن قاومتها .
ولم تأمر باطلاق العبيد وبالاجمال لم تغير النسبة
الشرعية بين العبد والسيد بل العكس هو الواقع
فقد أكدت حفرق كل من الفريقين وواجباته ...
و قبل عامين قامت صرحة عالمية حول ما أثير
عن الكنيسة الكاثوليكية وقيامها بحملات منظمة
لبيع وشراء النباتات من ولاية (كيرالا) الهندية .

وفي التحقيق الذي قامت به السلطات المسئولة في الحكومة الهندية المركزية وفي حكومة الولاية اعترف الكاردينال المسيحي أن هذه العملية وغيرها من عمليات الرقيق التي تمارسها الكنيسة كانت تم تحت إشراف البابا وبعلمه !! وكان من الممكن أن تبقى هذه الجريمة سراً لولا وقوع بعض الفتيات في قبضة البوليس الإيطالي والألماني بتهمة ممارسة أعمال غير مشروعة !! وسؤال الفتيات عن كيفية مجئهن إلى إيطاليا وألمانيا أجبن : أن الرهبان قاموا بشرائهن من الهند ، ووضعوهن في أديرة تمهدأ لسلوك طريق الرهبنة ولكنهن آثرن حياة المجنون والفقس على الحياة داخل أديرة الكنيسة الكاثوليكية !!

وتحطمت الأغلال والسلال

عندما جاء الاسلام
من المقطعين رجاء وأملأ ...
وحرر الأرقاء روحًا وجسداً
وكان صيحة الخلاص والحرية للشعوب
المقهورة تحت حكم الرؤمان والفرس ..
توماس زنولد

ظهر الإسلام في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية وتعتمد عليها جميع فروع الإنتاج في مختلف أتم العالم . فلم يكن من الإصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول المشرع تحريمه تحريراً باتاً لأول وهلة لأن محاولة كهذه كان من شأنها أن تعرض أوامر المشرع للامتحان والمخالفة . وإذا اتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما أمر به ، فإنه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهوسه عنيفة ويؤدي إلى أضرار بالغة لا تقل في سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا في العصر الحاضر إذا الغى نظام البنوك أو الشركات المساهمة ، أو حرم استخدام العمال وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو بطل استخدام السكك الحديدية لأن الرقيق كان في هذه المرحلة من تاريخ البشرية هو القوة المحركة التي يقوم عليها نظام الاقتصاد في هذه العصور : ولذلك .. أقر الإسلام الرق ولكنه أقره على صورة جديدة تنتهي بالتدرج إلى إلغائه وإزالته

ما بقى من مخلفاته ، ودون إحداث أى أثر سينى يقوض نظام المجتمع من أساسه .. فاهى الوسائل التى شرعها الإسلام لتخلص المجتمع من الرق فى مختلف صوره وأشكاله .. ؟

ان الوسيلة التى شرعها الإسلام لتخلص المجتمع من الرق فى مختلف صوره وأشكاله تلخص فى العمل على تضييق الرواقد التى كانت تساعد على قيام الرق وانتشاره وتケفل بقاءه ، وبالتالي فى توسيعة الأبواب والنوافذ التى تؤدى الى تحرير الرقيق من قيده واساره . وبذلك أصبح الرق أشبه ما يكون بنهر كثُر مصبانه وجفَت منابعه وأمطاره .. وخلق بنهر هذا شأنه أن يكون مصيره الجفاف فى النهاية وبذلك كفل الإسلام القضاء على الرق فى صورة سليمة هادئة ، وأتاح للعالم فترة للانتقال يتلخص فيها شيئاً فشيئاً من هذا النظام وأثاره ... لقد كان من أهم المصادر التى كان يستمد منها الرق وجوده وانتشاره سبعة مصادر : أحدهما العرب بجميع أنواعها : فكان الأسير في حرب أهلية أو

خارجية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاء .
وثانيها: القرصنة أو الخطف والنهب : فكان
ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب
فيفرض عليهم الرق ..

وثالثها: ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل
والسرقة والزنا : فكان يحكم على مرتكب واحدة
منها بالرق لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجنى عليه
أو أسرته .

ورابعها: عجز المدين عن دفع دينه : فكان يحكم
عليه بالرق لمصلحة دائنه ..

وخامسها: سلطة الوالد على أولاده : فكان يباح له
أن يبيعهم بيع الأرقاء ..

وسادسها: سلطة الشخص على نفسه : فكان
يباح للمعوز أن يتنازل عن حريرته وبيع نفسه لقاء
مُنْعِنَ معين ..

وكان هذا النوع من الاسترقاء قائماً في الحبشه -
مع المسلمين خاصة - حيث كان الدائن المسيحي
يسترق المُسلم المدين اذا عجز عن سداد دينه ، ولم

يبطل هذا النوع من الإسترقاق الا بعد الاحتلال
الأيطالي لمملكة يهودا المتحجرة !

وسابعها: تناصل الأرقاء : فكان ولد الأمة يولد
رقيقاً ولو كان أبوه حراً ، وكانت هذه الرواية
تُنَذِّفُ كُلَّ يَوْمٍ فِي تِيَارِ الرُّقْ بِآلَافِ مَوْلَفَةٍ مِّنَ الْأَنْفُسِ
حتى أن عدد الأرقاء كان يزيد في كثير من الأمم
على عدد الأحرار زيادة كبيرة ..

لقد جاء الإسلام وروافد الرق على هذه الكثرة
والغزارة التي أشرنا إليها فجحمنها جميعاً ما عدا
رافدين اثنين وهما رق الوراثة - وهو الرق الذي
يفرض على من تلده الأمة - ورق العرب - وهو
الرق الذي يفرض على أسرى الحرب . ثم عمد
الإسلام بعد ذلك إلى هذين الرافدين فقيدهما بقيود
تكفل نضوب معينهما بعد مدة قصيرة .

فنَّ أَهْمَ القيود التي قيد بها رق الوراثة ان استثنى
 منه أولاد الأماء من سادتهن فقرر ان من تأتى به
الجارية من سيدها يولد حرراً اذا اعترف به السيد .

وإذا لاحظنا أن الغالب في أولاد الجواري أن يكونوا من موالיהם أنفسهم - لأن الأغنياء ما كانوا يقتلون الجواري إلا لتعيمهم الخاصة - تبين لنا أن هذا القيد الذي قيد به الإسلام رق الوراثة كفيل بالعمل على جفاف هذا الرأفه نفسه ونضوب معنه بعد قترة وجيزة ..

والتفت الإسلام بعد ذلك إلى المصدر الثاني للرق وهو رق الحرب فاستثنى منه الذين يؤسرون في حرب بين طائفتين من المسلمين فهولاء لا يضرب عليهم الرق سواء أكانوا من الطائفة المعتدية أو الطائفة الأخرى . أما الحروب الأخرى وهي التي تكون بين المسلمين وغيرهم فلا تؤدي إلى رق من يؤسرون فيها إلا بشرط كبيرة من أهمها أن تكون الحرب شرعية أي حرباً يحيى لها الإسلام وفق قوانينه وتعاليمه ولا يكاد الإسلام يبيع الحرب إلا في ثلاثة حالات : حالة الدفاع وحالة نكث العهد والمواثيق ، وحالة اثارة الفتن والاضطرابات ضد المسلمين ..

فإذا لم تكن الحرب مشروعة - بأن أعلنت في غير الحالات السابقة أو لم تتفق وفق المنهج التي وضعها الإسلام ، فإن مثل هذه الحرب لا تؤدي إلى الاسترقاء - وحتى مع توافر هذه الشروط فإن الإسلام لا يجعل الرق نتيجة للأسر بل يبيح للإمام أن يعن على الأسرى بدون مقابل . أو يطلق سراحهم في نظير فدية أو على عمل يذودونه ، أو في نظير أسرى من المسلمين عند العدو أو في نظير جزية تفرض على رؤسهم . بل إن القرآن قد تحاشى أن يذكر الرق من بين الأمور التي يباح للإمام أن يعامل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المن أو الفداء (فإذا لقيتم الذين كفروا فضربوا الرقاب حتى إذا انختموهم فسلوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) ..

ومن هذا يظهر أن الإسلام قد سلك حيال الرق عن طريق الأسر نفس المسلك الذي سلكه حيال الرق الوراثي . فقد قيده بقيود تكفل القضاء عليه فهو لم يجعله نتيجة لازمة للحرب بل جعله ملكاً

من المسالك التي يصح أن يتخذها الأمام ، ولم ير غب
فيه بل رغب في غيره وفضله عليه على أنه لم يجز
الاتجاه إليه الا بشرط لا تكاد تتوافر إلا في الحروب
التي اضطر إليها الإسلام في مبدأ ظهوره ، أما بعد
استقراره وتنظيم العلاقات بين أئمه والأئم الأخرى
فيندر أن تتوافر هذه الشروط ومعنى هذا ان الإسلام
لم يبح هذا النوع من الرق الا لأجل معلوم ..
هذا ما فعله الإسلام حيال روافد الرق ومصادره :
قضى عليها جميعاً ما عدا رافدين اثنين : وقيد هذين
الرافدين بقيود تكفل نصوب معينهما بعد أمد
غير طويل ..

فما هي الوسائل التي شرعها الإسلام لتخليص
الرقيق من العبودية والأسر ؟

لقد شرع الإسلام وسائل عدة لتحرير الأرقاء
واستعادة حریتهم المفقودة ، واسترجاع كرامتهم
الإنسانية .

لقد فتح الإسلام أمامهم باب الحرية وأناح
لتحريرهم فرصةً شتى .. فجعل من أسباب العتق

أن يجرى على لسان السيد في آية صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده . سواء كان قاصداً معنى اللفظ أم لم يكن قاصداً له . وسواء أكان جاداً في قوله أو هازلاً ، وسواء أكان في حالة عادية أم فقداً لرشده بفعل الخمر وما إليها من المحرمات ومن هذا يظهر أن الإسلام يتمنى أوهى الأسباب لتحرير الأرقاء ..

ومن أسباب العتق في الإسلام أن يجرى على لسان السيد في أي صورة لفظ « التدبير » أي الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده ، وقد اتخذ الإسلام جميع وسائل الحجارة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد ، فحظر على السيد في أثناء حياته أن يبيع عبده المدبر أو يرهنه أو يهبها ، أو يتصرف فيه تصرفاً ينقل ملكيته إلى شخص آخر ..

ومن أسباب العتق في الإسلام أن يأتي السيد من جارته بولد يعترف بيئنته ففى هذه الحالة يعتبر الولد حرًا من يوم ولادته وتصبح الأم نفسها مستحقة للحرية بعد وفاة سيدها ..

ومن أسباب العتق في الإسلام أن يكاتب السيد
عبده أى يتفق معه على أن يعنته اذا دفع له مبلغاً
من المال . وقد هيأ الإسلام هذا النوع من العبيد
جميع وسائل الحصول على المال في صورة تدل
أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية . فأباح
لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار فيبيعوا ويشتروا
ويتاجروا ويحددوا العقود حتى يستطيعوا أن يجمعوا
المال اللازم لتحريرهم . ولم يكتف الإسلام بذلك
بل خصص جزءاً من ميزانية الدولة لمساعدتهم وتخليصهم
من الرق ويدل ظاهر القرآن على أنه لا يصح للسيد
أن يمتنع عن قبول المكاتبنة متى أبدى العبد رغبته .
وقد سأله ابن جرير عطاء بن أبي رباح فقال :
أواجب على اذا طلب مني ملوككي أن أكاتبه ؟ فأجابه
بقوله : ما أراه الا واجباً . ثم قرأ قوله تعالى
« والذين يتغرون الكتاب بما ملكت ايمانكم فكتابوهم
ان علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي
آتاكـم » . وإذا كان الرقيق المكاتب جارية سرى
حکمها على من تلده بعد مكاتبتها ، فيعتق معها

بدون عوض بمجرد ادائها المبلغ الذى تعاقدت عليه مع سيدها سواء أرضى السيد بذلك أم لم يرض .. ؟ ثم عمد الإسلام الى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التى يكثر حدوثها ، وجعل كفارتها تحرير الأرقاء . فجعله تكثيراً للقتل الناشي « من خطأ وما في حكمه . (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) وجعله كفارة للحدث في اليمن .

(لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم اليمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون به أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » وجعله كفارة عن الظهار - أى اذا قال الرجل لزوجته أنت على كظهر أمي - « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتناسا » .. وجعل الإسلام عتق الرقيق من أعظم القربات عند الله حتى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليضرب به المثل في جلال العمل وعظم الأجر من فعل كذا فكانما أعتق رقبة » أو « يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة » ولم يكتفى الإسلام

بهذا كله بل خصص كذلك سهماً من أموال الزكاة -
أى جزءاً من ميزانية الدولة - للاتفاق على تحرير
الأرقاء ، أى في شرائهم وعنتفهم ومدد المعاونة إليهم ..
قال تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب »
وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شيء بنهر
كثرة مصاباته وجفتها منابعه . فكان ولا بد أن
يتوقف مسيرة وتحمّي بمرور الزمن آثاره ...
ان الدولة الإسلامية تعتبر تحرير الرقيق من أهم
أغراضها الإنسانية ، وهي لهذا ترصدها ميزانيتها
العامة لتحقيق هذه الغاية السليمة . كما جعل العقق
كفارة في كثير من الجرائم والمخالفات الدينية
كالقتل الخطأ والظهار ، والإيمان ، وافتقار رمضان ..
والى أن تتحقق الحرية لجميع الأرقاء في النهاية
سن لهم الإسلام قوانين لم تعرفها - إلى الآن - معسكرات
الأسرى في بلاد الحضارة الأوروبية ...
وإذا كان العالم لم يتسع لهذه المجازر التي قام
 بها فرسان الحرب العالمية الثانية ضد إخوانهم في

الجنس، والعقيدة فإذا كانت معسكرات الاعتقال ،
وأفران الغاز ، وحرب الإبادة التي شنها الحلفاء
والآلام ضد خصومهم في الرأي والسياسة ، وإذا
كانت عمليات الحرق ، والتوجيع ، والتعذيب
وقطع الرقاب التي مارستها فرنسا ضد المجاهدين
على أرض الجزائر العربية المسلمة . اذا كان هذا
كله لا يزال حياً في أذهان الناس ، ولا تزال صورته
ال بشعة ماثلة أمام أعين العالم حتى هذه اللحظة ..
فإن الإسلام يسمى بتعاليمه فوق هذه الجمجمة التي
انحدرت إليها شعوب تزعم أنها فوق البشرية ،
وندعى أنها سيدة العالم في الاخاء والمساوة والحرية ..
لقد منع الإسلام للأرقاء نفس الحقوق التي
للساسة في مطالب الحياة العامة وكفل لهم الطمأنينة
والسلامة والعافية : وهي لهم الفرص المختلفة للخروج
بهم إلى عالم السيادة والحرية وشملهم بعدله الذي
لا يعرف المحاباة ولا التفرق ..
لقد كفل الإسلام للأرقاء غذاء كغذاء سادتهم
وكساء ككساء أوليائهم .

روى أبو داود عن المعروي بن سعيد قال :
دخلنا على أبي ذر « بالربذة » فإذا عليه بردة وعلى
غلامه (عبده) مثله فقلنا يا أبي ذر : لو أخذت برد
غلامك الى بردك فكانت حلة وكسونه ثوباً غيره ؟
قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول :
هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فن كان أخوه
تحت يده فليطعمه مما يأكل وليكسه مما يكتسي ، ولا
يكلفه ما يغله (ما يتبعه) فإن كلفه ما يغله فليعنه .
وحفظ الإسلام كرامتهم فلا يجوز خدشها بكلمة
نانية .

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - « من قذف ملوكه
بريناً ما قال أقيم عليه الحد يوم القيمة إلا أن يكون كما
قال » « ومن ضرب ملوكه ظلماً قيد منه يوم القيمة »
وروى أبو داود أن ابن عمر اعتق مملوكاً له
ثم أخذ من الأرض عوداً أو شيئاً فقال : ما في فيه
من الأجر ما يساوى هذا سمعت رسول الله يقول :
« من لطم مملوكاً أو ضربه فكفارته عنقه » .
وروى أحمد عن أم سلمة قالت :

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيته وكان
بيده سواك فدعا وصيحة لها - فلم ترد - حتى استبان
الغضب في وجهه . وخرجت أم سلمة إلى الحجرات
فوجدت الوصيحة وهي تلعب بيهمة (شاة صغيرة)
قالت : أراك تلعبين بهذه البهيمة ورسول الله يدعوك ؟
قالت : لا . والذى يبعثك بالحق ما سمعتك . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو لا خشبة القود
لأوجعتك بهذا السواك » .

والإسلام يقدم العبد الرقيق على الحر منى كان
العبد أكفاء من الحر ، وأمر المسلمين بالسمع والطاعة
إذا ملك عبد .. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -
عبد أطاع الله وأطاع مواليه أدخله الله الجنة قبل مواليه
بسبعين خريفاً فيقول السيد - رب هذا كان عبدي في
الدنيا - أي كيف يقدم علي في الجنة - قال الله : جازيته
بعمله وجازيتك بعملك ... »

ويقول النبي أيضاً : لقد أوصاني حبيبي جبريل
بالرفق بالرقيق حتى ظنت أن الناس لا تستبعد
ولا تستخدم ، إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد

وأجلس كما يجلس العبد ، ولقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن ينادي الرقيق بكلمات لا تخرج ولا تؤذى « لا يقولن أحدكم عبدى وامتى . ولا يقل الملوك ربى وربتى وليرقل المالك فتاي وفتاتى وليرقل الملوك سيدتى وسيدى فانكم الملوكون ، والرب عزوجل ورأى النبي رجلاً على دابة وغلامه - عبده - يسعى خلفه فقال « يا عبد الله : احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك » ...

وكان صلى الله عليه وسلم يمنع التفريق في السبى بين الوالدة ولدتها ويقول : من فرق بين والدة ولدتها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيمة ؟ يقول « فاندبرغ » : لقد وضع الإسلام قواعد كثيرة للرقيق تدل على ما كان ينطوي عليه محمد واتباعه من شعور إنساني نبيل يناقض كل المناقضه تلك الأساليب التي كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى أنها تعيش في طليعة الحضارة لقد ولـى النبي - صلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ - بلاـأـ علىـالمـدـيـنـةـ فـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ ، وـأـمـزـأـسـامـةـ بـنـ زـيـدـ عـلـىـ جـيـشـ فـيـ أـبـوـبـكـرـ

و عمر ، و مرت بالمسلمين فترة كان كثيرون من أبناء فارس والروم - الذين أسروا في الغروب التي وقعت بينهم وبين العرب - متولين لأرقى المناصب . وقد سأله هشام بن عبد الملك الزهري إمام الحديث النبوى فقال له : من يسود أهل مكة ؟ فقال الزهري : عطاء .. قال هشام : وبم سادهم ؟ قال : بالديانة والرواية . فقال هشام : تعم من كان ذا ديانة حقت له الرئاسة . ثم سأله عن اليمن ومصر والجزيره وخراسان والبصرة والكوفة فأخذ الزهري يعد له سادات البلاد وكانوا من الموالى حتى أتى على ذكر التخعي فقال : إنه عربي فقال هشام : والله ليس بمن الموالى العرب ويختبئ لهم على المتابر ...

وقال عمر بن الخطاب حين اجتمع للتشاور بالمسلمين في آخر حياته لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته ...

ولم يكن الرق أو الجنس أو العنصر في ظل الإسلام مانعاً لأحد من الوصول إلى المراتب العليا ما دامت عنده مؤهلاته .. لقد كان عبادة بن الصامت

أسود اللون ، وكان رئيس الوفد الذى أرسله عمرو بن العاص لفاوضة المقوقس حاكم القبط عند فتح العرب لمصر . فهابه المقوقس لسوداد لونه وبسطة جسمه وطلب من الوفد أن يتكلم غيره فردوا عليه : إن هذا أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا وقد أمره الأمير علينا فلا يخالف أمره . فعجب المقوقس كيف يكون الأسود أفضلهم ؟ فردوا عليه بأن الألوان ليست مما تفاس به الرجال فهناك مقياس الخلق والمواهب الفاضلة ..

ولهذه المعاملة الطيبة التى كان يعامل بها الرقيق تمنى كثير من أحرار غير المسلمين أن يسترقوا ليعذلا سعادة الرقيق في ظل الإسلام . وهذا هو زيد بن حارثة مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحيى أهله ليطلبواه من النبي فترك رسول الله الأمر لزيد يقرر فيه ما يختار فقال زيد : ذل الرق مع صحبة رسول الله أحب إلى من عز الحرية مع مفارقته .. بل إن رسول - صلى الله عليه وسلم - زوج زيداً هذا من شريفة قربته هي زينب بنت جحش ..

ثُمَّ جَاءَ الْاسْتِعْمَارُ

إنه لعار لأي أوربي ، عاصر هذه المرحلة
من تاريخ الاستعمار في آسيا والبريقايا ...
برنارد شو

الاستعمار يساوى الاسترقاق ..

وهي كلمة استعملت في غير معناها . وتضمنت غير حقيقتها ، فالاستعمار الأوروبي كان في واقعه استخراجاً لكل القيم والمبادئ ، وكان في حقيقته انتهاكاً لحقوق الإنسان . وتدميراً للحياته . وكانت الشعوب المقهورة أمام قراصة الغزو ، واساطيل الفتح تحول إلى أسواق يباع فيها الإنسان بعقد من الخرز . أو حلبة من الزجاج وكما قال برنارد شو : إن الجريمة البشعة التي ارتكبها أوروبا في حق هذه الشعوب يشمئز منها كل رجل حر . . .

فماذا فعلت أوروبا باسم هذا الاستعمار ؟
عندما اتصلت أوروبا بأفريقيا كان هذا الاتصال مأساة إنسانية عرضت سكان هذه القارة للليل طويلاً ، خمسة قرون متواصلة .

فإن الدول الأوروبية نظمت اختطاف هؤلاء المساكين واجتلاهم إلى بلادها لتتكلفهم بأنشق الأعمال . . فلما اكتشفت أمريكا آخر القرن الخامس عشر ازداد البلاء النازل بهؤلاء الأفريقيين النساء ونقول دائرة

ان اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة بالأدغال كان يتم بإيقاد النار في الهشيم الذي صنعت منه الحظائر المحيطة بالقرى حتى إذا نفر أهالي القرية إلى الخلاء تصيدهم الأنجلiz بما اعدوا لهم من وسائل وشرائط . . .

وعدا من كانوا يموتون من هذا القنصل الأدمي في الرحلة الى الشاطئ الذي ترسو عليه مراكب الشركة الأنجلizية وغيرها كان ثلث الباقين يموتون بسبب تغير الطقس ويموت في اثناء الشحن حوالي ٤٠٥ / منهم و ١٢ / في اثناء الرحلة . اما من كانوا يموتون في المستعمرات فلا حصر لهم فإن مستعمرة جمایکا البريطانية وحدها قد دخلتها سنة ١٨٢٠ م ما لا يقل عن ثمانمائة الف رقيق ، ولم يبق في تلك السنة منهم سوى ثلاثة وأربعين ألفاً . . .

وكثير عدد الزنوج في امریکا حتى بلغ حوالي عشرين مليونا هاجر أكثرهم منذ اعلن تحريرهم واسوا لهم دولة في افريقيا تعرف الآن باسم « لیبریا » .

وكان احتكار تجارة الرقيق على سواحل افريقيا مقصوراً على الأسبانيين ثم انتقل الى البرتغاليين من عام 1580 الى 1640 م ثم تساقت الدول الاوروبية الى هذه التجارة بعد ذلك . . .

وكان التجار البريطانيون يوردون الرقيق الى المستعمرات الاسبانية وملكت هذه التجارة مدة طويلة في ايدي شركات بريطانية بناه على تأييد حكومة بريطانيا لها ، ويقدر « برایان اوارد » مجموع ما استولى عليه البريطانيون من الرقيق بحوالي ٢,١٣٠,٠٠٠ شخص . . .

وهل كانت الحكومات الانجليزية على صلة بهذه التجارة الهمجية التي يمارسها رعاياها على شواطئ البلاد الأفريقية ؟

لقد بلغت تجارة الرقيق اوجها قبل حرب الاستقلال الأمريكية وكانت قواعدها في ليفربول ولندن وبرستول « ولانكشاير » . . .

وكانت الملكة اليزابيت الأولى تشارك فيها واعادت التجار بعض اساطيلها وكانت شريكه لجون هوكتز

اكبر تاجر رقيق في تاريخ العالم ، وقد رفعته الملكة الى مرتبة البناء وجعلت شعاره رقيقا يرفل في السلسل والقيود . . ومن المفارقات الطريفه ان السفينة التي اعانتها - الملكة - لجون هوكتر كانت تسمى « يسوع » وكان مخصصاً للابحار بالرقيق من المواني المذكورة الى مواطن الاستبعاد ١٩٢ سفينة تسع حمولتها في الرحلة الواحدة لحوالى ٤٧,١٤٦ رقيقا . . وقد طلبت انجلترا من رجال الدين المسيحي مبررا لهذه التجارة فاسعفوها بنصوص التوراة التي تقدمت في الكلام على الرق عند اليهود ، وبمقتضى هذه الفتوى كان استبعاد الزوج واجبا عند الأوروبيين لأنهم من سلالة يافث بن نوح الذي كتب على ذريته الأسترافق كما تزعم ذلك اسفار العهد القديم . .

لم تكن هناك حقوق مقررة يلتزمها الملوك في معاملة هؤلاء الرقيق .

لقد كان العكس هو الواقع تماما . ففي ١٧ من مارس ١٦٨٥ م صدر قانون بتنظيم احوال الأرقاء في المستعمرات ولكنه - بالرغم من قسوته - لقي معارضة

شديدة من التجار واصحاب الأراضي التي كان يعمل فيها هؤلاء المساكين النساء . . .
وما جاء في هذا القانون :

« من اعتدى منهم - من الرقيق - على السادة بأقل اعتداء قتل ، واذا سرق عوقب اشد العقاب ، واذا أبقى العبد قطعت اذناه ورجلاه وكوى بالحديد المحمى واذا هرب للمرة الثانية قتل » . . . وكان الانجليز في مستعمرة جمایکا يعدمون من هرب أكثر من ستة اشهر . والسيد اذا قتلى عبده امكن ان يجد مبرراً لقتل وبيراً . وكانت الجمعيات الاستعمارية لا تهتم بعلاقة السيد بعده ، وحرمت على الملونين وظائف البيض كما حرمت التزاوج بينهم ، ومنعت تمكين الأسود من التعليم وفي عهد لويس الرابع عشر كان القانون ينص على احتقار الجنس الأسود مهما كانت منزلته . وفي الولايات الجنوبية بأمريكا كان الرقيق مهانا جدا . واذا تجمع سبعة منهم في الطريق عد ذلك جريمة ويجوز للرجل الأبيض اذا مربهم ان يقاضي عليهم ويجلدهم عشرين جلدة . وقد نص القانون على ان العبيد لا نفس

لهم ولا روح . . ولست لهم فطانة ولا ذكاء ولا اراده
وان الحياة لا تدب الا في أذرعهم فقط وفي سنة ١٨٥٩
صوتت الجمعية التشريعية في « اركانزا » على طرد جميع
الملوثين من اراضيها واندرت من لم يفارق الوطن
ببيعه في المزاد العلنى . . .

وعندما طالب ابراهيم لنكولن بتحرير الأرقاء كان
مصيره القتل غيلة وغدرا .. ومشروع الحقوق المدنية
الذى وافق عليه الكونجرس الأميركي يكتفى اخيرا قوبلا
بمعارضة شديدة ولم ينفذ حتى بقوة السلاح والمدفعية
وفي جنوب افريقيا يمارس البيض جريمةهم البشعة
ضد الأكثريية الأفريقية والملوحتات التي تحمل التحذير
لزنوچ امريكا وجرائم جماعة « الكلوكس » تفيض بها
الصحف الأمريكية . . وكل محاولة تبذل لتصفيه ما
بقى من آثار هذه المأساة الانسانية تذهب هباء امام دعاء
التفرقة العنصرية . .

وليس جديدا ما يقع الآن في روسييا وغيرها من
بلاد العالم المختلفة . . .

لقد صدرت اتفاقيات الغاء تجارة الرقيق وصدق عليها
في سنوات ١٨٣١ - ١٨٤٥ - ١٨٣٣ وكان من المدهش
حقاً أن بريطانيا التي قامت بأكبر دور في سوق
العبيد والنخاسة هي الدولة المتحمسة لألغاء هذه التجارة
على وجه السرعة . . .

فلم اذا غيرت بريطانيا وجهتها هذه فجأة ؟
والجواب عن هذا السؤال بوضوح وصراحة :
ان بريطانيا بعد ان فقدت امريكا كمستعمرة ارادت
ان توجه الى هذه الدولة الناشئة ضربة تقضى على
اقتصاديات هذه البلاد بسرعة ولا يكون ذلك الا بالغاء
تجارة الرقيق والقضاء عليها وهي التي كانت المورد الوحيد
للأيدي العاملة في أمريكا الشمالية . . ومن ثم فقد
ترزعت بريطانيا هذه الحركة في الوقت الذي بدأت
تبث فيه عن مناطق نفوذ جديدة وفي الوقت الذي
بدأت تمارس فيه هذه التجارة بصورة جماعية باسم
الحضارة والمدنية لقد حرمت بريطانيا خطف الأفراد
وبيعهم في سوق النخاسة واباحت في نفس الوقت
خطف الشعوب واستبعاد اهلها في قحة ونذالة . . .

وهناك سبب آخر يعترف به الكتاب الغربيون .
يقول هؤلاء الكتاب : ان الرق الغى حين ضعف انتاج
الرقيق لسوء احوالهم المعيشية وفقدان الرغبة او القدرة
على العمل - بحيث اصبحت تكاليف العبد من اعاشه
وحراسة أكثر من انتاجه فهي باذن حسبة اقتصادية يحسب
فيها المكب والخماره ولا ظل فيها لأى معنى من
المعانى الانسانية التي تشعر بكرامة الجنس البشري
فتشجع الرقيق حريرته من اجلها . هذا بالإضافة الى
الثورات المتابعة التي قام بها الرقيق فاستحال معها دوام
ذلك واستبعاده ، ومع ذلك فإن اوروبا - حينئذ - لم
تمتنع الحرية ولكنها حولته من رقيق للسيد الى رقيق
للأرض بيع معها ويشرى ولا يجوز له أن يغادرها
والا اعتبر آبقا وأعيد اليها بقوة القانون مكبلا بالسلال
مكوبا بالنار وهذا اللون من الرق هو الذي بقى حتى
حرمه الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر اي بعد ان
قرر الاسلام مبدأ التحرير بما يزيد على الف ومائة عام ..
وهل وضعت هذه الأنفaciات موضع التنفيذ وتخلص

العالم من الرق وآثاره المختلفة بين الأفراد والشعوب ؟
أين هذا الرق الذي الغى ؟ وماذا نسمى ما يحدث
كل يوم في أنحاء العالم ؟ ما اسم الذي كانت تصنعه
فرنسا في تونس والمغرب والجزائر من قتل للأبريةاء
وحبسهم في السجون القذرة بلا طعام ولا شراب
وانتهاك اعراضهم والسطو على نسائهم وشتم بطون
الحوامل للتراهن على نوع الجنين فيها . . .

وبماذا نسمى هذا الذي يحدث في أمريكا من وضع
لافات على الفنادق والنوادي تقول : ان هذه الأماكن
لليبيض فقط ، او تقول في وقاحة كريهة « ممنوع دخول
السود والكلاب » وقصة الملونين في إفريقيا وحرمانهم
من حقوقهم البشرية ، وقتلهم او اصطيادهم حسب
تعير الصحف الأنجلزية لأنهم تجرأوا فأحسوا
بكرامتهم وطالبوها بحريتهم . . بماذا يسمى هذا كله
ان لم يكن هو الرق في ابشع صوره ؟
ان الرجل الايبيض لا يزال يعتبر نفسه سيد هذا العالم ،
ولا تزال أوروبا تمارس تجارة الرقيق في صورة

جديدة تحيط بها شعارات مزيفة للمساواة والأخاء
والحرية . . .

وما هو موقف الأمم المتحدة من عمليات الرقيق التي
تعارض خفاء في بعض البلاد الأفريقية ؟

لقد ذكر العلман « جاك آلان . جورج . وهير الد »
في تقرير كتب في مائتى صفحة وقدم الى لجنة حقوق
الإنسان بيهيئة الأمم المتحدة - بعد ان قاما ببرحة بدأها
من مراكش مارين بنجيرايا والكونغو والسودان .
وشاهدوا حظائر الرقيق في تاو ، وطورا ، وطبوره ،
وسواكن ورأيا وحشية القناصة وسوء معاملة المخطوفين
المساكين . . .

ذكر هذا العلمان ان ثلث الرقيق يموت في الطريق
وخمسة يموتون مريضا في المعتقل والباقي يباع بعد ذلك
وقد صادقا في بعض البلاد سودانيين مسلمين بعثهما
شيخ من دارفور لشراء بعض الرقيق واعتقالهم ،
ورأياكثيرا من المسلمين يفعل مثل ذلك ، كما شاهدوا
في سواكن رئيس عملية الشحن للخارج « والتركر
ومهولتر » الألماني الذي احترف نجارة الرقيق بعد ان

اطلق من اسر الأنجلiz عندما كان جاويشا في الحملة
الألمانية الأفريقية وله دراية وخبرة بهذه التجارة في
جميع انحاء افريقيا . .

ويقولان : ان الرقيق كان يشحن في قاع السفن
تحت البضائع خوف التفتيش في الميناء وفي عرض
البحار تقابلهم نقالات يتم عليها البيع والتوزيع في
الخارج وهذه الحظائر يعرفها ويحميها المستعمرون
الفرنسيون والإنجليز . .

كما أن أسواق الرقيق الذي لا يعرف به
الإسلام والذي فرر الغاءه نظراً لأنعدام الأسباب
الدينية الداعية إليه كان موجوداً في البلاد التي يحتلها
الإنجليز في جنوب شبه الجزيرة العربية .

وفي افريقيا الآن يقولون :
عندما جاء الاستعمار كانت معنا الأرض وكان
يحمل معه الإنجليل . . .
فأعطانا الإنجليل وأخذ من الأرض ..
ثم رحل بعد أن نهب الأرض وحرق الإنجليل !!

الفهرس

القسم الأول

| | | |
|----|-------|-----------------------|
| ٧ | | مقدمة |
| ١١ | | الصراع مع الفقر |
| ٢٩ | | اقطاع ... واقطاع |
| ٤١ | | الرباطيون أصحاب الوقف |
| ٥١ | | واقع الشريعة |
| ٥٧ | | وثيقة للتاريخ |

القسم الثاني

| | | |
|----|-------|------------------------|
| ٦٧ | | كيف بدأ الرق ؟ |
| ٨١ | | ونحطمت الأغلال والسلام |
| ٩٩ | | ثم جاء الاستعمار |

هذه الدراسة

في ديارنا . في ديار الإسلام . بغزو حظير مدير .
سحب عديدة الأشكال والصور أو كار تنشر في كل
ناحية . حركات كثيرة مشوهة . كتب ونشرات
مسومة . والشاب والوطن هو الضحية .
وقد كتبت هذه الدراسة للشباب ، لأن الشاب
هو الأمل والمستقبل . والأمل لا يأتي من فراغ وتمرق .
وإما يتجدد الأمل بالعقيدة التي يدلونها تكون الحياة
لقطاً بغير معنى ركلمة يدرن حقيقة .